جامعة جنوب الوادي
كلية التربية بقنا
شعبة التعليم العام
الفرقة الثانية تاريخ
العام الجامعي٢٠٢٤م- ٢٠٢٥م

مقرر:

معالم تاريخ الرومان

إعداد:

د. محمد محمود محمد

المبحث الأول: الظروف الجغرافية لشبه الجزيرة الإيطالية وأثرها علي تاريخ الرومان

ليس هناك شك ان هناك ارتباط قوي بين التاريخ والجغرافيا، فالتاريخ والجغرافيا وجهان لعملة واحدة، كما أن الجغرافيا هي المسرح الذي جرت عليه أحداث التاريخ، وتعد الجغرافيا العامل الرئيس في تحديد تاريخ وحضارة أي شعب من الشعوب، فالجغرافيا كان لها بالغ الأثر في تشكيل تاريخ وحضارة اليونان، تلك الحضارة التي كانت بمثابة الحضارة الأم أو الحضارة الحاضنة للحضارة الرومانية، فاذا كانت الجغرافيا في بلاد اليونان قد عززت النزعة الانفصالية بين أقاليم ومدن اليونان، فإن الجغرافيا عززت وحدة شبه الجزيرة الايطالية على يد الرومان.

كلمة إيطاليا مشتقة من Vitellio ومعناها أرض العجول، وذلك إشارة إلى طبيعة أرض ايطاليا التي كانت تتميز بالسهول الواسعة الخصيبة التي تصلح لتربية الماشية، وقد قام الإغريق بإطلاق هذا الاسم في القرن الخامس قبل الميلاد على الجزء الجنوبي الغربي فقط من شبه جزيرة إيطاليا، وتدريجيًا أصبح هذا الاسم قبل نهاية القرن الأول قبل الميلاد يطلق على المنطقة من أقصى الجنوب حتى جبال الألب في الشمال([1]).

تقع شبة جزيرة إيطاليا في قلب البحر المتوسط بين كل من شبه جزيرة البلقان وشبه جزيرة ايبريا، يبلغ طولها من الشمال الى الجنوب حوالى ١١٥٠كم والعرض حوالي ٥٨٠كم، يحدها من الشمال جبال الالب ومن الشرق البحر الادرياتيكي والبحر الايوني ومن الغرب البحر التيراني والجنوب جزيرة صقلية التي يفصلها عنها خليج مسينا، وتمثل هي وصقلية نقطة تقسيم للبحر المتوسط الى قسمين شرقي وغربي، تميز الساحل الغربي لشبه جزيرة ايطاليا بالمساحات الكبيرة من السهول وبكثرة المواني‌ء الطبيعية على عكس الساحل الشرقي الذي كان يفتقر للموانيء الطبيعية والسهول، مما جعلها محط انظار المهاجرين من بلاد اليونان، وظهور مجتمعات مختلفة عرقيًا ولغويا وثقافيا الا ان هذا الاختلاف تغلبت عليه روما وحققت الوحدة([2]).

تتكون إيطاليا من إقليمين رئيسيين هما الإقليم الشمالي والإقليم الجنوبي، الاقليم الشمالي منطقة سهلية شاسعة يحدها من الشمال جبال الألب على شكل هلال غير متصل يمتد من الادرياتي حتى المتوسط. يتخلل الالب ممرات، ولذلك لم تكن جبال الالب عامل فصل لوجود

([1]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ١٢.

([2]) إبراهيم الجندي، المرجع السابق، ص ٧-١١.

الممرات مما سمح بمجيء هجرات قادمة من داخل أوربا الى ايطاليا. واكبر انهار هذا الاقليم نهر البو، الذي يشغل واديه اكبر مساحة من الاقليم([٣]).

أما الاقليم الجنوبي تكون من شبه جزيرة تقع بين التيراني في الغرب والادرياتي في الشرق، يتميز بالشواطيء الطويلة، يخترقه سلسلة جبال الابنين، تنشط فيه البراكين، توجد به سهول واسعة مثل سهول اترووريا ولاتيوم وكمبانيا، واربع انهار رئيسية هي الارنوس والتيبر وليريس وفولتورنيوس([٤]).

وكانت أقرب الجزر الى ايطاليا جزيرة صقلية التي يفصلها عن ايطاليا خليج ميسنا، وتبعد صقلية عن قرطاجة العدو اللدود لروما ١٢٨كم، اجتذبت صقلية انتباه الرومان بعد الانتصار على بيرهوس ملك ابيروس وبعد ان صارت روما سيدة ايطاليا، فقد رأت روما في ذلك الوقت ضرورة السيطرة عليها لانها كانت بمثابة العمق الاستراتيجي لايطاليا ومن يسيطر عليها يستطيع تهديد امن وسلامة ايطاليا، وقد ادى ذلك الى دخول روما في صدام مع اليونانين وعلى رأسهم سيراكوز وقرطاجة، وانتهي هذا الصراع بانتصار روما وسيطرتها على صقلية([٥]).

أما عن تضاريس إيطاليا فهي تضاريس جبلية صخرية يتخللها بعض المناطق السهلية، بها سلسلة جبال الابنين التي كانت تعد العمود الفقري بالنسبة لشبة جزيرة ايطاليا، فهذه الجبال تمتد من الشمال إلى الجنوب، كما ان بها نهر التيبر الذي يمر من خلال هذه الجبال في وسط إيطاليا، وهناك جبال الألب على المنطقة الشمالية لايطاليا، التي شكلت الحدود الشمالية لايطاليا، التي كانت بمثابة حدود طبيعية لايطاليا. وكان يحيط بايطاليا ثلاث مناطق مائية رئيسية هي البحر الادرياتكي، والبحر الأيوني، والبحر المتوسط، وقد سهلت هذه البحار إقامة الطرق البحرية وتقوية العلاقات التجارية بين ايطاليا وجيرانها سواء مع الإغريق الذين كان يفصلهم ٥٠ ميلا عن إيطاليا أو إفريقيا التي كان يفصلها ١٠٠ ميل عن إيطاليا.

وعلى طول الساحل الغربي لايطاليا عند قاعدة سلسلة جبال الابنين كانت هنالك ثلاث مناطق سهلية، أولهم مناطق سهول توسكانيا في الشمال، وتعد هذه المنطقة أول المناطق التي استوطنها الإنسان في ايطاليا في العصر القديم، وقد تكونت هذه السهول بفضل ترسبات نهل "بو"، وكانت منطقة زراعية خصبة. وثانيها سهول لاتيوم، وهذه المنطقة كانت موطنا لمدينتي البالونجا ومدينة روما ، وكذلك موطنا للمدن المزدحمة بالقرب من نهر التيبر وساحل البحر

([٣]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٢-١٣.

([٤]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٣-١٦.

([٥]) إبراهيم الجندي، المرجع السابق، ص ١٨.

الادرياتكي، ومركزا للأعمال التجارية في العصر الإمبراطوري. المنطقة الثالثة: هي منطقة السهول الجنوبية، كمبانيا، التي كانت تعد أفضل ميناء في ايطاليا.

أما عن مناخ شبة الجزيرة الايطالية، فانه يختلف في الشمال عن الجنوب، ففي الشق الشمالى منها يسود المناخ الالبي الذي يتميز بالثلوج والبرد القارص في الشتاء، اما الشق الجنوبي منها يتميز بمناخ معتدل مناخ البحر المتوسط، الذي يغلب عليه الجفاف والحرارة المرتفعة في الصيف والامطار الغزيرة في الشتاء([٦]).

تكمن أهمية الموقع الاستراتيجي لشبة جزيرة إيطاليا في جعلها تلعب دورًا محورياً في تاريخ بلدان البحر المتوسط، بالاضافة الى ذلك فان هذا الموقع مكنها من الدفاع عن نفسها ضد الاعداء، وموقعها في البحر المتوسط جعلها شريكاً لشعوب البحر المتوسط في صنع حضاراتهم والتأثير فيهم والتأثر بهم في بعض مراحلها الحضارية، كما كانت قبلة للمهاجرين من الحضارات الاخرى، واختلاف التأثيرات الحضارية على مناطق إيطاليا نتج عنه اختلاف في تطور مناطقها، فالمناطق القريبة من الاغريق والقرطاجيين كانت اكثر تطوراً عن مناطق الغاليين التي كانت متخلفة . والفواصل الطبيعية الجغرافية أدت الى صراع بين مناطق مختلفة في ايطاليا، لم ينتهي إلا بتوحيد شبة الجزيرة على يد الاتروسكيين أولاً ثم بعد ذلك على يد الرومان. كما أدت الفواصل الطبيعية إلى تعدد اللغات وتنوع الثقافات([٧]).

المبحث الثاني: مصادر دراسة تاريخ الرومان

تقوم عملية كتابة التاريخ الإنساني لأي حضارة من الحضارات على قراءة ودراسة وتحليل المصادر التاريخية، حيث تشكل هذه المصادر أهمية خاصة بالنسبة لكتابة التاريخ من ناحية وللمؤرخ من ناحية أخري، فمن الناحية الأولى لا يمكن كتابة تاريخ بدون مصادر يستمد منها المؤرخ معلوماته التاريخية في كتابة التاريخ، ولذلك فإن المصادر التاريخية في هذه الحالة تُعد المنبع الوحيد لكتابة التاريخ، وعلى هذا يمكن القول بأنه لا يوجد تاريخ إذا لم يوجد مصدر يمكن الاعتماد عليه في كتابة التاريخ.

ومن ناحية الأخرى، فإن أهمية المصادر التاريخية بالنسبة للمؤرخ الذي يعتمد عليها في كتابته للتاريخ، تتمثل في أنها تضفي أهمية خاصة لكتابته التاريخية التي يستمدها من مصادرها الأصلية، وتجعلها أكثر دقة ومصداقية عن الكتابات الأخرى التي لا تعتمد في كتابتها على

([٦]) شحاته الناضور، اليونان والرومان، ص ١٤١.

([٧]) المرجع نفسه، ص ١٤١.

المصادر التاريخية، والتي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نسميها كتابات تاريخية من الأساس.

وبتعدد المصادر التاريخية التي يمكن للمؤرخ أن يعتمد عليها في كتابة تاريخ إي أمه من الأمم البشرية، يمكن تقسيم المصادر التاريخية إلى مصادر أدبية ومصادر غير أدبية، وكل نوع من هذه المصادر يندرج تحته العديد من أنواع المصادر الأخرى، سنتناوله بالتفصيل في وقته وحينه.

أولاً: المصادر الأدبية:

يُقصد بالمصادر الأدبية لدراسة التاريخ، هي المصادر التي عاصرت الحدث أو كتبت بعد فترة قريبة زمنيًا من وقوع الحدث التاريخي، وتتميز المصادر الأدبية بأنها كتابات تتناول وقائع وأحداث تاريخية في أسلوب يجمع بين التاريخ والأدب، ويمكن تقسيم المصادر الأدبية من حيث صلتها بالتاريخ إلى قسمين: القسم الأول: المصادر الأدبية المباشرة، هي تلك المصادر التي يكون موضوعها الرئيسي التاريخ وليس الأدب، حيث يتم فيها سرد الوقائع والأحداث التاريخية في أطار أدبي، يجعل من التاريخ شيئاً مستساغًا في التناول بالنسبة للقارئ، وتتمثل المصادر الأدبية المباشرة في أعمال المؤرخين القدماء مثل هيرودوت، و"بوليبيوس"، و"ديونيسيوس الهاليكارناسي"، و"ديودورس الصقلي"، و"ثوكيديدس"، وغيرهم من المؤرخين، بالإضافة إلى الخطب السياسية والخطابات مثل خطب وخطابات "شيشرون".

والقسم الثاني من المصادر الأدبية هو المصادر الأدبية غير المباشرة، التي يكزن موضوعها الرئيسي الأدب وليس التاريخ، ولكنها تتناول وقائع وأحداث تاريخية في أسلوب أدبي مَحْض، ويتمثل هذا النوع من المصادر في المسرحيات والأشعار والملاحم الروماني مثل ملحمة "الإنيادة" للشاعر "فرجيل".

وفيما يلي عرض سريع لأهم المؤرخين والكتاب والأدباء والشعراء والخطباء الذين شكلت أعمالهم مصادر هامة لتاريخ الرومان.

آبيانوس Appianus

ولد فيما بين سنة ٨١– ٩٦ م بمدينة الإسكندرية فى مصر، ورحل حوالي سنة ١٢٠ م إلي روما وهناك عين فى وظيفة بديوان الخزانة الملحقة بالإمبراطور، عاصر الإمبراطور "تراجان" والإمبراطور "هادريان" والإمبراطور "أنطونينوس بيوس". وكتب تاريخاً لروما بعنوان التاريخ

الروماني Romaika باللغة الإغريقية(٨)، مكون من أربعة وعشرين كتاباً، لم يصلنا منها كاملة إلا تسعة كتب فقط والباقي في شكل شذرات. والكتاب الثامن تناول فيه الحروب البونيقية حتى تدمير قرطاجة ١٤٦ ق.م، مات حوالي سنة ١٦٥ م(٩).

أوفيدوس Ovidius

هو "ببليوس أوفيديوس ناسو" Publius Ovidius Naso، ولد ٢٠مارس سنة٤٣ ق.م فى سولمو على بعد تسعين ميلا من روما، وهو شاعر روماني، وهو مؤلف المجموعات الثلاثة فى شعر الغزل الفاضح، وهى "البطلات" Heroides، و"ديوان فن الهوى" ars amoris، و"ديوان علاج الحب" Remedium Amoris. ومشهور أيضا بقصيدة Metamorphoses، وكتب عن الأعياد Fasti، وكتب مجموعتين شعريتين هما Epistulae ex Ponto, Tristia على البحر الأسود، ومات سنة ١٨م(١٠).

أيذيدوروس Isidorus

ولد أيذيدوروس في أواخر القرن السادس الميلادي، ومات فى حوالي سنة ٦٣٦ ميلادية، لا نعرف إلا القليل عن حياته المبكرة، وعند وفاة والديه كان صغيراً تركوه فى رعاية أخيه الأكبر، نشأت عائلته فى قرطاجنة، وشغل منصب أسقف فى الكنيسة. ألف العديد من المؤلفات منها Etymologiae، الذي يُعد موسوعة فى كل أنواع المعرفة، مكون من عشرين جزءاً، وضع فيه أساسيات علم القواعد والهندسة والفلك والقانون وعلم اللاهوت والعلوم العسكرية(١١).

بلوتارخوس Plutarchus

وهو "لوكيوس ميستريوس بلوتارخوس" Lucius Mestrius Plutarchus من مدينة خايرونيا Chaeronea من أعمال بويوتيا، ولد سنة٥٠ م(١٢)، درس العلوم والإدارة، وكان

---

(٨) أحمد عتمان: الأدب اللاتيني ودوره الحضاري حتى نهاية العصر الذهبي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٥، ص٣٧.

(٩) عبد اللطيف احمد علي: مصادر التاريخ الروماني، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٦٣- ٦٥ .

(١٠) عبد المعطى شعراوي: النقد الأدبي عند الإغريق والرومان، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٣٠٨- ٣٣٢.

(١١) http://bestiary.ca/prisources/psdetail821.htm

(١٢) أحمد عتمان: المرجع السابق، ص ٤٢.

مؤرخا وفيلسوفا من أتباع المدرسة الأفلاطونية. أهم أعماله هي المقالات الأخلاقية moralia وهى دراسات في الأخلاق والدين والطبيعة والسياسة والأدب، والتراجم parallel تناول فيها سير عظماء اليونان والرومان وعقد مقارنة بينهم(١٣). و"بلوتارخوس" واحدً من الذين يؤمنون بضرورة الجمع بين العبقرية الإغريقية والقوة العسكرية الروماني(١٤)، مات سنة ١٢٠م(١٥).

وقد استعنت بمؤلف التراجم عند الحديث عن الجيش الروماني فى عصر "رومولوس" Romulus ، و"كاتو الأكبر" Cato Maior، و"كريوليانوس" Coriolanus، و"ماركيلليوس" Marcellus، وبيرهوس Pyrrhus، وكاميللوس Camillus وفابيوس ماكسيموس fabius maximus، وفلامينوس Flaminius، وماريوس Marius، وكراسوس Crassus.

٥. بلينيوس الأكبر Plinius Secundus

هو "جايوس بلينوس سيكندوس" Gaius Plinius Secundus، ولد فى سنة ٢٣ م، معرف باسم "بلينيوس الأكبر"، كان قائدا في الأسطول والجيش. والصديق الشخصي للإمبراطور فاسبسيان Vespasian. قضى معظم وقته في دراسة الظواهر الطبيعية والجغرافية. كتب عمل موسوعي هو التاريخ الطبيعي Naturalis Historia . مات سنة ٧٩م(١٦).

بوليبيوس Polybius

مؤرخ يوناني ولد سنة ٢٠٠ ق. م فى مدينة ميجالوبوليس، أبوه يُدعي" ليكورتاس" كان قطبا سياسيا فى بلاد اليونان، لذا بدأ الاشتغال بالسياسة في سن مبكرة(١٧). ويُعد "بوليبيوس" أفضل من كتب عن العسكرية الروماني، فهو يتمتع بخلفية عسكرية كبيرة، لكونه قائداً عسكرياً فى سلاح الخيالة الإغريقي(١٨)- في جيش الحلف الآخي- قبل أخذه رهينة إلى روما بعد معركة بودنا (بيدنا) pydna مع ألفٍ من بني جلدته، قضي فيها عدة سنوات- حوالي ست

---

(١٣) بلوطرخوس: العظماء" عظماء اليونان والرومان والموازنة بينهم"، المجلد الأول، ترجمة ميخائيل بشارة داود، الهيئة العامة للكتاب، الألف كتاب الثاني، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٢-٢٣.

(١٤) أحمد عتمان: المرجع السابق، ص ٤٢.

(١٥) المرجع نفسه، ص ٤٢ .

(١٦) عبد اللطيف احمد علي: المرجع السابق، ص ٢٧.

(١٧) عبد اللطيف أحمد على: المرجع السابق، ص ٥٥.

(١٨) M.C. Bishop, & J.C.N.Coulston,Roman Military Equipment From The Punic Wars to The Fall of Rome, Second Editon, Oxford, 2006, p. 40.

عشرة سنة– كان خلالها من المقربين "لسكيبيو" ومعلماً لأبنائه(١٩)، ودرس أيضاً فى هذه الفترة أخلاق الرومان ونظمهم وتعرف عن قرب علي أقطابهم وبخاصة " أيمليوس باوللوس" "قاهر مقدونيا"، و " سكيبيو ايميليانوس" – "قاهر إفريقيا " أو "افريكانوس"، لذا فإن خبرته السياسية والعسكرية الواسعة ومعاصرته للأحداث أهلته لأن يكون مؤرخاً ملماً ومحللاً جيدا للأحداث التاريخية والتنظيم العسكري للرومان والقرطاجيين والمقدونيين(٢٠). وكان "بوليبيوس" من أنصار المنهج التحليلي والنقدي، ففي أكثر من مناسبة قام بالمقارنة بين النظام التكتيكي الروماني والإغريقي(٢١)، ومات متأثرا بجراح عقب سقوطه من صهوة جوداه حوالي سنة ١٢٠ ق. م(٢٢).

وعندما تعرف "بوليبيوس" علي أعضاء "حلقة سكيبيو الأدبية"، شجعوه علي كتابة تاريخه المعروف باسم التواريخ Historia الذي يقع فى أربعين كتابا، و للأسف لم يصلنا كاملا إلا الكتب من ١–٥، أما باقي الكتب من ٦– ٤٠ فقد وصلتنا مبتورة في شكل فقرات، عالج فيه "بوليبيوس" الفترة الممتدة من سنة ٢٢٠ ق.م إلى ١٤٦ ق.م. ويعد هذا المؤلف أوثق مصدر عن تاريخ الجمهورية الروماني، وكان هدف "بوليبيوس" من كتابة التاريخ شرح الأسباب التي من أجلها أصبح الرومان سادة البحر المتوسط(٢٣)، وعظمة "بوليبيوس" كمؤرخ شهد لها المؤرخ الألماني "ثيودور مومسن" "Th. Momsen" فقد وصفه "بالشمس الساطعة في حقل التاريخ الروماني"(٢٤).

تاكيتوس Tacitus

وهو "كورنيليوس تاكيتوس" Cornelius Tacitus، ولد سنة٥٥ م. كان عضوا سيناتورياً ومؤرخاً خلال العصر الإمبراطوري، كتب مؤلفين هما الحوليات the Annales والتواريخ the Histories. أما أعماله الأخرى فإنها تتناول الخطابة فى صيغة الحوار، بالإضافة إلى كتابته لسيرة اجريكولا Agricola خلال حملته فى بريطانيا De vita et moribus Iulii Agricolae، مات سنة١٢٠م(٢٥).

---

(١٩) عبد المعطى شعراوي: المرجع السابق، ص ٢٤٢.

(٢٠) المرجع نفسه، ص٢٤٢.

(٢١) عبد اللطيف أحمد علي: المرجع السابق، ص ٥٧ – ٥٩ .

(٢٢) المرجع نفسه، ص ٥٥– ٥٦

(٢٣) عبد المعطى شعراوي: المرجع السابق، ص ٢٤٢

(٢٤) المرجع نفسه، ص ٥٦ –٥٨.

(٢٥) عبد المعطى شعراوي: المرجع السابق، ص ٣١٤–٣١٥.

جوزيفوس Josephus

هو "تيتوس فلافيوس جوزيفوس" Titus Flavius Josephus، ولد سنة ٣٧م ، مؤرخ روماني يهودي. سجل تاريخ اليهود مع تركيزه الخاص على القرن الأول الميلادي والحرب الروماني اليهودية الأولى التي قامت بعد تدمير أورشليم فى سنة ٧٠ م. أهم أعماله الحرب اليهودية الذي كتبه سنة ٧٥ م، والتاريخ القديم لليهود Antiquities of the Jews، الذي كتبه حوالي سنة ٩٤ م، ومات سنة ١٠٠ م.

جيلليوس Gellius

هو "أولوس جيلليوس" Aulus Gellius، ولد حوالي سنة ١٢٥ ميلادية ومات حوالي سنة ١٨٠ ميلادية ، مؤلف ونحوى لاتيني، ولد وتربى في روما، تعلم في أثينا ثم عاد إلى روما، وعندئذ تولى وظيفة قضائية. مشهور بعمله المعروف باسم الليالي الأتيكية الذي هو عبارة عن ملاحظات في النحو والفلسفة والتاريخ وموضوعات أخرى عديدة(٢٦).

ديودورس الصقلي Diodorus Siculus

عاش في الفترة مابين عامي ٨٠ ق.م إلى ٣٠ م، ولد فى اجريوم (اجيرا الآن) فى صقلية. كتب مؤلفا في التاريخ العام أو التاريخ العالمي مؤلف عرف باسم المكتبة التاريخية Bibliotheca historica، تناول فيه التاريخ منذ العصور الأسطورية إلى سنة ٦٠ ق.م، مكون من أربعين كتابا، لم يتبق منها كاملة إلا الكتب من ١-٥، والكتب من ١١-٢٠، التي أمدتنا بمعلومات قيمة عن تاريخ الجمهورية الروماني خلال الفترة الممتدة من سنة ٤٨٠ إلي ٣٠٢ ق.م(٢٧).

ديونيسيوس الهاليكارناسى Dionysius of Halicarnassus

وهو "ديونيسيوس بن اسكندروس" Aléxandros، ولد حوالي سنة ٦٠ق. م ومات حوالي سنة٧ق.م ، مؤرخ يوناني ومعلم خطابة ازدهر خلال حكم يوليوس قيصر. ذهب إلى روما بعد انتهاء الحروب الأهلية، وقضى اثنين وعشرين سنة فى دراسة اللغة اللاتينية والأدب والإعداد

---

(٢٦) http://en.wikipedia.org/wiki/Aulus_Gellius

(٢٧) عبد اللطيف احمد علي: المرجع السابق، ص ٦٠-٦١.

لمادته التاريخية، ويعرف عملهُ باسم "الرومان القدماء" "Roman Antiquities"، كتب فيه تاريخ روما من الفترة الأسطورية إلى بداية الحرب البونيقية الأولى، مقسماً إلى عشرين كتابًا(٢٨).

سليوس الايطالي Silius Italicus:

وهو "تيبريوس كاتيوس اسكونيوس سيليوس ايتاليكوس" Tiberius Catius Asconius Silius Italicus، ولد حوالي سنة ٢٨م ، ومات حوالي سنة ١٠٣ م، كان قنصل وخطيب روماني، وشاعر ملحمي لاتيني فى القرن الأول الميلادي(العصر الفضي للأدب اللاتيني). عملة الوحيد الباقي هو، Punica، وهى قصيدة ملحمية عن الحرب البونيقية الثانية(٢١٨-٢٠١ق.م) ، وتعد هذه القصيدة أطول قصيدة باقية من الشعر اللاتيني مكونة من أكثر من ١٢,٠٠٠ سطر(٢٩).

شيشيرون Cicero

هو "ماركوس توليوس شيشيرون" Marcus Tullius Cicero، ولد فى ٣ يناير سنة ١٠٦ق.م فى مدينة أربينوم Arpinum جنوب روما بحوالى٦٥ ميلاً. وهو فيلسوف وسياسي ومحامى، ومشرع دستوري. من عائلة ثرية من طبقة الفرسان. ويعتبر واحداً من أعظم خطباء روما. تنقسم أعمالة إلى أعمال خطابية، وسياسية، وبلاغية، وفلسفية، ورسائل. عاش فى عصر أخذت فيه روما مكانة بلاد اليونان باعتبارها مركزا للثقافة والمركز الأول بين أمم العالم(٣٠). مات سنة ٤٣ ق.م. ومن مؤلفاته عن الواجبات De Officiis، وعن الجمهورية الروماني De re publica، وعن الغيب De Divinatione، وفى الفيليبيات Philippicae(٣١).

فاروو Varro

هو "ماركوس ترنتيوس فاروو" M. Terentius Varro، ولد سنة ١١٦ ق.م(٣٢) فى مدينة رياتى Reate، كاتب روماني، يدعى أحيانا فاروو ريتنيوس Varro Reatinus، يعد أعظم علماء الرومان، كان موسوعيا واسع الاطلاع غزير الإنتاج. أشهر أعمالة مؤلف

---

(٢٨) المرجع نفسه، ص ٦١ .

(٢٩) http://en.wikipedia.org/wiki/Silius_Italicus

(٣٠) أحمد عبد الحليم، عن الصداقة لشيشرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤، ص، ٥-١٣.

(٣١) أحمد عتمان، المرجع السابق، ص ١٧٨- ٢٠٩.

(٣٢) عبد المعطى شعراوي، المرجع السابق، ص ٢٤١ .

بعنوان "الشئون الريفية" "De Re Rustica" مكون من ثلاثة كتب وصلتنا كاملة. ومؤلف آخر بعنوان "فى اللغة اللاتينية" "De Lingua Latina"، مكون من خمسة وعشرين كتاباً وصلنا منها ستة كتب فقط. ومات فى سنة ٢٧ ق.م(٣٣) .

فرونتينوس Frontinus

وهو "سيكتوس يوليوس فرونتينوس" Sextus Julius Frontinus، ولد في سنة ٣٠ م، وتقلد الكثير من المناصب الإدارية في الإمبراطورية الروماني، فقد اختير برايتور praetor في سنة ٧٠ م، واختير قنصلا consul في نهاية عام ٧٣ م، ثم واليا على بريطانيا في عام ٧٤–٧٨ م، ثم مديراً لمرافق المياه في روما فى سنة ٩٧ م، وكتب عن ذلك مؤلفاً بعنوان "إمدادات المياه لمدينة روما" De Aquis urbis Romae، وكتب بحثا عن" مسح الأراضي" لم يصلنا منه سوي مقتطفات. ومؤلفاته في جوهرها ذات طابع عملي، تعالج موضوعات فنية مكتوبة بأسلوب واضح يتناسب مع الغرض الذي كتبت من أجله. مات سنة ١٠٤ م(٣٤).

أما عن أهم عمل عسكري تاريخي "لفرونتينوس" فهو بحث عن " فن قيادة الجيوش" "Strategemata"، وهو مجموعة لأكثر من أربعمائة مثال تاريخي توضيحي، شرح فيه الخطط الحربية عند الرومان واليونان ليستفيد منها القادة والضباط(٣٥)، مكون من أربعة كتب والكتب الثلاثة الأولى مترابطة إذ تعالج الخطط العسكرية قبل وأثناء وبعد المعركة وعند الحصار، أما الكتاب الرابع فيختلف عنهم في الأسلوب والبناء والمنهج ويرجح انه ليس من وضع فرونتينوس(٣٦).

فيجيتوس Vegetius

وهو "بوبليوس فلافيوس فيجيتوس ريناتوس" Publius Flavius Vegetius Renatus، ولد فى نهاية القرن الرابع الميلادي، ألف بحثاً عن العسكرية بعنوان"مختصر العلوم العسكرية" Epitomae Rei militaris– ويشار إليه أيضا باسم De Re Militari– ، وبالرغم من كتابته لهذا العمل فى فترة متأخرة نسبياً، إلا أنه اعتمد على مصادر مبكرة

---

(٣٣) المرجع نفسه، ص ٢١٠ – ٢١٣ .

(٣٤) عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ٣٢.

(٣٥) O. L. Spaulding, The Ancient Military Writer , CJ, 28, (1933), pp. 663-664.

(٣٦) عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ٣٢.

جداً، مثل "كاتو الأكبر" Cato The Elder، و"كيليوس" celsus، و"فرونتينوس" frontinus، و"باتيرنوس" paternus.([٣٧]).

فيرچيليوس Vergilius

هو "بوبليوس فرچيليوس مارو" Publius Vergilius Maro، ولد فى١٥ أكتوبر سنة ٧٠ ق. م بالقرب من مانتوا ، شاعر روماني كلاسيكي، له ثلاثة أعمال رئيسية هي الرعويات Eclogues، والزراعيات Georgics، والإنيادة Aeneid، بالإضافة إلى عدة قصائد صغيرة. ويمكننا أن نعتبر الإنيادة الملحمة الوطنية لروما، فقد أثرت فى الأدب الغربي، واتبعت النموذج الأدبي لإلياذة واوديسية هوميروس، ومات فرچيليوس فى سنة ١٩ ق.م، وفي هذا المصدر العديد من المعلومات التاريخية عن تأسيس مدينة روما وتأسيس مدينة البالونجا، Toga(٣٨).

كوينتليانوس Quintilianus

هو "ماركوس فابيوس كوينتليانوس" Marcus Fabius Quintilianus ، ولد فى حوالي سنة ٣٥ م، ولد فى مدينة كالاجوريس Calagurris فى اسبانيا. خطيب روماني، العمل الوحيد الموجود لكوينتليانوس هو مؤلف يحمل اسم تعليم الخطابة Institutio Oratoria، نشر حوالي سنة ٩٥م، مكون من اثنى عشر جزءاً ، وقد مات "كوينتليانوس" فى حوالي سنة ١٠٠ م(٣٩).

ليفيوس Livius

وهو "تيتوس ليفيوس" Titus.Livius، ولد فى سنة ٥٩ ق.م في بتافيوم patavium – بادوا padua حديثا بإيطاليا–، كتب تاريخ روما منذ تأسيسها إلى سنة ٩ ق.م، لذا عرف هذا

([٣٧]) P. Southern, op. cit., p.135 .

(٣٨) أحمد عتمان، المرجع السابق، ص ٢٤٤– ٢٨٠

(٣٩) عبد المعطى شعراوي، المرجع السابق، ص ٣٢٢؛

http://en.wikipedia.org/wiki/Quintilian

المؤلف باسم "منذ تأسيس المدينة" ab urbe condita. مكون من ١٤٢ كتاباً، لا نمتلك منها إلا خمسة وثلاثين كتابا فقط، وقد مات ليفيوس في سنة ١٧ م(٤٠).

وتمثل الكتابة التاريخية عند ليفيوس أحد مراحل تطور الكتابة التاريخية عند الرومان، فبعد أن كانت الكتابة التاريخية في القرن الثاني قبل الميلاد عبارة عن حوليات قصيرة ممزوجة بأساطير وخرافات –لا يمكن الأستناد إليها عند قراءة التاريخ–، فإنها شهدت تطوراً كبيراً خلال القرن الأول قبل الميلاد، حيث أصبحت الكتابة التاريخية أكثر تأثرًا بالأسلوب الخطابي الإغريقي، وأكثر طولاً واستفاضة عن سابقتها في القرن الثاني قبل الميلاد، وإن كان يأخذ عليها أنها لم تخلو من الخطب الوهمية والروايات الطويلة لمعارك أسطورية زائفة ومواجهات سياسية بين الخصوم السياسيين خلال القرن الأول قبل الميلاد، أما ما يميز الكتابة التاريخية في القرن الأول قبل الميلاد، فإنها كانت على قدر كبير من الأهمية، إذ إنها كانت تعكس الأحوال السياسية والعسكرية والصراع السياسي في الفترة المتأخرة من عصر الجمهورية الروماني بصورة أكثر دقة – خاصة الأحداث التاريخية الخاصة بتاريخ روما الباكر– عن سابقتها.

ونظرًا لأن تاريخ ليفيوس عن مدينة روما في العصور الباكرة كان كغيره من الكتابات التاريخية التي كتبت في القرن الأول قبل الميلاد، فإنه أيضًا لم يخلو من الأساطير والخيال، مما يجعل مهمة الباحث صعبة في قراءاته واستخلاص الحقيقة من بين براثن الأسطورة التي مزجها "ليفيوس" بالأحداث التاريخية الحقيقية، أو بمعنى آخر كيفية التمييز بين ما هو حقيقي وما هو أسطوري في كتابات ليفيوس، وللتغلب على هذه المشكلة التي جعلت الباحثين يختلفون حول العديد من الجوانب الحياتية في تاريخ روما المبكر، فإن المعيار الذي اتخذه الباحثين في استخلاص الحقيقة، كان هو الحكم على شخصية الكاتب ومدى خبرته عما يكتب عنه ومصادره التي اعتمد عليها في كتابة تاريخه.

وبالإضافة إلى ذلك يأخذ علي "ليفيوس" وقوعه في المفارقات التاريخية anachronisms، وذلك لاستخدامه عدداً من المصطلحات العسكرية التي كانت شائعة الاستخدام في عصر يوليوس قيصر Julius casear، خلال حديثه عن الفترة المبكرة من الجمهورية الروماني. ويؤخذ عليه أيضاً أن أسلوبه في وصف المعارك يتسم بالتعقيد والصعوبة، وإنْ دلَّ ذلك على شيء فإنما يدل على قلة خبرتهِ العسكرية. وعلى ذلك فإن "ليفيوس" كمصدر عن الجيش

---

(٤٠) أحمد عتمان، المرجع السابق، ص ٣٣٣ – ٣٣٤.

الروماني لا يعد مصدراً موثوقاً فيه إلى درجة كبيرة(٤١)، لكونه لم يتبع التحري العلمي والاستقصاء الدقيق عن الحقائق كما فعل "بوليبيوس" بل أنه مال إلى الإصلاح الخلقي عن طريق العبر المستخلصة من الماضي التي أحاطها بهالة من المثالية مع إبراز الفضائل القديمة، وكل ذلك بسبب عدم فهمه للظروف الجغرافية والعلوم العسكرية وعوزه لقدر كبير من ملكة النقد والتحليل(٤٢).

ثانيًا: مصادر غير أدبية:

تشمل المصادر غير الأدبية المعاهدات التي كانت تتم بين الرومان وبين غيرهم من الدول الأخرى، وقوانين الألواح الأثنى عشر، وقرارات الجمعية الشعبية، وقرارات مجلس السناتو، وسجلات القناصل، وحوليات كبار الكهنة، بالإضافة إلى كل الوثائق المختلفة كالآثار والنقوش و المسكوكات وأوراق البردي و الاوستراكا وغيرها من المواد التي كان من الممكن التدوين عليها(٤٣).

(أ)- الآثار:

للتعرف على أهمية الآثار كمصدر للكتابة التاريخية عند المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ روما أو بالنسبة للباحثين المحدثين، تجدر بنا الإشارة إلى التعريف بماهية الآثار، يمكن تعريف الآثار على إنها الأثر أو المواد التي تركها لنا القدماء بعد موتهم سواء كانت هذه المواد معابد يتعبدون فيها، أو منازل يسكتونها تقيهم حرارة الصيف وبرد الشتاء، أو مرافق عامة كالحمامات أو المسارح التي من خلالها تتهيئا لهم وسائل أفضل للحياة والرفاهية، أو الحصون أو الأسوار والبوابات التي تكفل لهم الدفاع عن أنفسهم من خطر هجمات الأعداء، بالإضافة إلى الأدوات المنزلية والأعمدة والأواني الفخارية التي يستخدمونها في الأكل والشرب، والمسكوكات والعملة التي كانوا يتعاملون بها في معاملاتهم التجارية اليومية.

وتبرز أهمية هذه الآثار السابق ذكرها في إنها تجعلنا قادرين على اقتفاء اثر القدماء وأحوالهم الحياتية المختلفة؛ فالآثار على تنوعها وتعددها يستطيع الباحث من خلالها قراءة تاريخ

---

(٤١) A. Zhmodikov, Roman Republican Heavy Infantrymen in Battle (IV–II Centuries B.C.) , Historia, 49,(2000), pp.74-76 .

(٤٢) عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ١٦.

(٤٣) المرجع نفسه، ص ٣.

القدماء، فبعضها يحتوي بشكل مباشر على صور للحياة اليومية للقدماء، وبعضها الأخر يشير بشكل غير مباشر إلى الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية التي كانت سائدة في المجتمع.

وأقدم اثر وصل إلينا كمصدر لكتابة تاريخ الرومان هو نقش على حجر اسود Lapis Niger من البازلت الأسود، تم العثور عليه في عام ١٨٩٩م، عليه كتابات باللغة اللاتينية القديمة(اقدم صورة لها). ويعتقد ان هذه الكتابات كانت جزءًا من قانون جنائزي للطقوس الدينية، وعثر معه على اشياء اخرى يؤرخ لها بالقرن السادس قبل الميلاد، والنقش ذاته يمكن تاريخه بمرحلة لاحقة نوعًا ما، بجوالي الربع الاخير من القرن السادس قبل الميلاد او النصف الاول من القرن الخامس قبل الميلاد، ونظرًا لاحتواء هذا النقش على كلمة ملك recei المرادفة لكلمة Regi بمعنى الملك، فان هذا النقش يشير الى احد ملوك العصر الملكي ا والى وظيفة ملك الطقوس الدينية Rex Sacrorum، التي كانت موجودة في مطلع النظام الجمهوري ٥١٠/٥٠٩ق.م(٤٤).

قوانين الألواح الأثنى عشر:

قوانين الألواح الأثنى عشر هي نصوص أقدم تشريع روماني، وللاسف فإن اصل هذا التشريع مفقود، وما وصلنا منه هي نسخ ظلت محفوظة كتراث مقدس عبر القرون، وظل معمولًا بهذه القوانين لبضع مئات السنين، ثم تم جمعها ونشرها لاول مرة حوالي ٤٥٠ق.م، لرغبة العامة في معرفة القوانين التي تحكمهم، حيث لم تكن القوانين قبل ذلك منشورة أو معروفة إلا من خلال الاشراف، ووافق الأشراف على نشرها مكتوبة على اثنى عشر لوحًا برونزيًا ووضعت في السوق العامة، لكي يستطيع الجميع رؤيتها ومعرفة حقوقهم وواجباتهم بشكل جيد، ومنذ صياغتها ونشرها اعتمد عليها الكثير من المؤرخين اللاحقين في كتابة تاريخ للرومان، حيث وردت مقتطفات من نصوصها خاصة شيشرون، وقد كانت مصدرًا رئيسيًا في إعادة صياغة تاريخ روما المبكر في عصرها الجمهوري(٤٥).

القرارات :

هذه القرارات كانت تصدرها الجمعية الشعبية الروماني، وكانت هذه القرارات تحفر على لوحات من البرونز وتوضع في معبد "ساتورنوس"، الذي كان مكانًا للخزانة العامة ودارًا

---

(٤٤) محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص ٢٧.

(٤٥) محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص ٢٨.

للمحفوظات العامة إضافة إلى وظيفته الأساسية كمكان للعبادة. وكان "شيشرون" يشتكي من إهمال الوثائق المودعة فيه، ولذلك فلا نستبعد أن الكثير من الوثائق القديمة الهامة فيه، قد ضاعت كلية أو شوهت على مر الزمان(٤٦).

قرارات مجلس السناتو:

كانت قرارات مجلس السناتو Senatus Consulta أحد المصادر الهامة التي اعتمد عليها المؤرخون في كتابة تاريخ روما، واقدم نسخ موجود من قرارات السناتو يرجع تاريخها إلى عام ٤٤٩ق.م، وهذه القرارات كانت استشارية وليست تنفيذية واجبة التنفيذ، ووفقًا لما جاء عند ليفيوس فإن هذه القرارات كانت تسلم نسخ منها الى الايديلس Aediles، لكي يحفظها في معبد الربة كيريس Ceres ربة الحصاد والزروع عند الرومان- على تل الافنيوس-، بينما كانت تحفظ هذه القرارات في القرنين الاخيريين من الجمهورية الروماني في معبد الاله ساتورنوس(٤٧).

سجلات او حوليات كبار الكهنة:

عرفت ايضا بسجلات الكهنة tabulae pontificum، والحوليات العظمى Annales Maximi، وهي تعد من المصادر القديمة التى اعتمد عليها المؤرخون القدامي في كتابة تاريخ الرومان، وتحتوي هذه السجلات على معلومات وبيانات الطقوس والشعائر الدينية وتحديد ايام الاعياد الدينية والأيام التي تنعقد فيها المحاكم، ومسجلًا فيها الاحداث الهامة التي وقعت في فترة تولي أحد الكهنة العظام Pontifex Maximus، لهذا المنصب، وقد كان الكهنة يعمدون الى صبغ هذه الأحداث بالصبغة الدينية، ويربطون سبب حدوثها بالدين او الآلهة، ومدى رضاها أو سخطها على الناس، ومن هذه الأحداث كسوف الشمس والمجاعات وخسوف القمر والفيضانات والزلازل والبراكين. ولم يقتصر التفسير الديني من قبل للكهنة على الظواهر الطبيعية فقط، بل تعداها الى الاحداث الطبيعية ، فقط ربط الكهنة تفسيرهم للانتصارات والهزائم العسكرية بتفسير ديني بحت. واول كتاب ضم حوليات وسجلات الكهنة، يرجع فيه الفضل الى الكاهن الاكبر كوكيوس سكايفولا ١٢٥ق.م، الذي كلف احد المؤلفين بكتابة كتاب يحتوي على سجلات الكهنة، وهذا الكتاب كان يتكون من ثمانين حزءًا، ضم العديد من الظواهر الطبيعية والاحداث التي يرجع

---

(٤٦) حسين الشيخ، الرومان دراسات في تاريخ الحضارات القديمة(٢)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٢٥.

(٤٧) محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص ٢٩.

اقدمها الى بداية القرن الثالث قبل الميلاد، وقد نقل عنه العديد من الكتاب الرومان مثل ليقيوس وشيشرون وغيرهم(٤٨).

المعاهدات:

لا شك ان المعاهدات التي كانت تبرمها روما مع غيرها من المدن والدول والممالك الأخرى، مصدرًا هامًا في كتابة تاريخ الرومان على مدى العصور المختلفة سواء في العصر الملكي أو الجمهوري او الإمبراطوري، خاصة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية للرومان، فهذه المعاهدات أتاحت لنا الفرصة للتعرف على سمات الدبلوماسية الروماني وخصائصها، وطبيعة علاقاتها الخارجية للرومان بالأمم الأخرى، وكشفت لنا عن الظروف التاريخية التي أدت إلي إبرام هذه المعاهدات وشروط هذه المعاهدات ومدى عدالتها بين الطرفين والنتائج المترتبة عليها([٤٩]).

والمعاهدات التي كانت تعقدها روما مع غيرها من المدن والدول والممالك الأخرى، كانت نوعين مختلفين، النوع الأول من هذه المعاهدات: كان طرفي المعاهدة ندين متكافئين لبعضهم البعض، ويلتزم كل منهم بمساعدة الطرف الأخر في حالة الحرب. أما النوع الثاني: كانت فيه روما الطرف أو الحليف الاسمي في المعاهدة من الطرف الأخر، الذي كان ملتزمًا بمساعدتها سواء في حروبها الدفاعية أو الهجومية على حدٍ سواء، وبذلك فان هذا النوع من المعاهدات كان يفقد الطرف الأخر سيادته في اتخاذ قراره، ويجعله تابعًا وليس حليفًا لروما. ومما لا شك فيه إن هذا النوع من المعاهدات كان سببًا في تمرد حلفاء روما وخروجهم عليها، مما اضطرها في نهاية إلى استبدال هذا النوع المهين من المعاهدات بالنوع الأول الذي يحفظ للأخر سيادته ويجعله ندًا متكافئًا لها في المعاهدة، وقد أتت هذه السياسة أكلها، وأدت إلى هيمنة روما أولًا على ايطاليا ثم بعد ذلك على معظم أنحاء البحر المتوسط وتكوين إمبراطورية شاسعة مترامية الأطراف. وكانت نصوص هذه المعاهدات تحفر على لوحات برونزية وتعلق على تل الكابيتول(٥٠).

---

(٤٨) محمد السيد عبدالغني، تاريخ الرومان حتى نهاية العصر الجمهوري، الجزء الأول، منذ نشأة روما حتى نهاية العصر الجمهوري المبكر ٢٦٥ ق.م، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٥٥.

([٤٩]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٠٣-١٠٤.

(٥٠) حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ٢٥.

قوائم الإحصاء:

يقصد بقوائم الاحصاء Tabulae Censorumهي القوائم التي كان يقوم بإعدادها الموظفون المسؤولون عن الاحصاء Censores ، بعد عمل احصاء عن المواطنين الرومان، تضمن هذا الاحصاء بيانات احصائية دقيقة عن اعداد المواطنين الرومان وانسابهم املاكهم، وكل ما يتعلق بحياتهم العامة والخاصة وعلاقتهم بالدولة، وكانت تتم مراجعة هذه البيانات وتحديثها اول باول باضافة المواليد الجدد وحذف الوفيات منها ، لكي تكون متطابقة مع الواقع، وهذه القوائم كانت تصدر بشكل دوري كل خمس سنوات، وعلى الرغم من اهمية قوائم الاحصاء في التأريخ لتاريخ الرومان، إلا أن قوائم احصاء ما قبل عام ٣٠٠ق.م هي محل شك كبير ولا يمكن الاعتماد عليها منفردة في التأريخ لأي من الاحداث التاريخية(٥١).

سجلات القناصل السنوية:

سجلات القناصل السنوية هي اهم سجلات وقوائم شاغلي مناصب السلطة التنفيذية العليا، وفيها كان يتم تسجيل الاحداث سواء العامة او الخاصة بسنوات حكم القناصل، ومن خلال الاعمال الادبية اللاحقة تم جمع قائمة كاملة بالقناصل Fasti Consulares الذين تولوا هذا المنصب منذ بداية الجمهورية، ونظرًا لعدم توفر سجلات دقيقة قبل عام ٣٠٠ ق.م، فانه لا يمكن الاعتماد التام على هذه القائمة خصوصًا بالنسبة للفترة المبكرة للجمهورية. ومن ناحية اخرى هناك القائمة الكابيتولية Fasti Capitolini، وهي نقش باسماء القناصل من بداية الجمهورية حتى وقت اغسطس، تم نقش هذه القائمة على احد الاقواس على المقر الرسمي للكاهن الاعظم في السوق العامة الروماني في سنة ١٧/١٨ق.م، وبهذا النقش الكثير من اسماء القناصل الذين تولوا القنصلية ووردت اسمائهم في قائمة القناصل Fasti Consulares(٥٢).

الأساطير:

يذكر أمين سلامة في تعريفة للاسطورة بانها: "هي رواية أعمال إله أو كائن خارق ما. تقص حادثًا تاريخيًا خياليًا، أو تشرح عادة أو معتقدًا أو نظامًا أو ظاهرة طبيعيى. وللأجناس أو الأمم أو القبائل أو الأماكن أساطيرها الخاصة"(٥٣).

---

(٥١) أمين سلامة، الاساطير اليونانية والروماني، ص 54.

(٥٢) محمد السيد عبدالغني، المرجع السابق، ص ٥٤.

(٥٣) أمين سلامة، الاساطير اليونانية والروماني، ص ١٠.

والأساطير هي نوع من القصص المسلية التي تستهوي خيال الإنسان، فيها حقائق مكنية عن حياة الانسان والاحداث التي مر بها ، وبعضها يحكي عن بطولات ومعاناة بعض الاشخاص في الوصول إلي أهدافهم، وعلى الرغم ان الأساطير كان هدفها المباشر التسلية الا انها كانت ذات اهداف اخري اكثر اهمية من مجرد التسلية، فهي بمثابة توثيق لاحداث وشخصيات مضت، ونقل هذه الأحداث إلى الاجيال التالية، وعلى الرغم مما يشوبها الكثير من المبالغة والتهويل بعيدًا عن حقيقة الأحداث في معظم الاحيان، الا ان الاسطورة لا تخلو من الحقيقة، حيث انها نواة للحقيقة التي يبحث عنها المؤرخ لمعرفة احداث الماضي من خلالها، لذا نستطيع القول ان الاسطورة هي احداث الماضي حيكت في شكل قصص ذات زي خرافي اسطوري بديع، مليئ بالخطط والشخصيات ذائعة الصيت، لكي تكون مسلية ومستساغة في الفهم وسهلة في الحفظ، وبذلك يتم تناقلها من جيل إلى جيل(٥٤).

وبذلك فان الاساطير تعد حلقة اتصالنا بالماضي، خاصةً عندما يتعذر لنا ايجاد مصادر اخرى نستقي منها معلوماتنا عن احداث الماضي البعيد، ففي هذه الحالة تكون الاساطير بمثابة حلقة الوصل بين احداث الماضي وبين المؤرخ الذي يريد أن يستوثق عن أحداث ماضية، فضلًا عن ذلك فإن الاساطير تمدنا بمعرفة نظرة القدماء عن عالمهم، وكيفية تفسيرهم للاحداث والظواهر الطبيعية التي كانت تحدث في زمانهم. ولا شك ان تأثير الاساطير القديمة مازال له بصمته على وقتنا الحاضر، فهناك بعض الكلمات التي نستخدمها في وقتنا الحاضر مستمدة من الاساطير القديمة، منها على سبيل المثال لا الحصر، كلمة يونيو فهي مشتقة من جونو ملكة الآلهة عند الرومان، وكلمة الخميس مشتقة من ثور إله الحرب عند القبائل الجرمانية القديمة، وأيضا مثل كلمة جانيتور بمعنى البواب أو الحارس وهي مشتقة من جانوس الإله ذو الرأسين، حارس الأبواب عند الرومان. وامتداحنا للطعام الشهي بقولنا انه كالعسل، هو تأثير من وحي الأساطير لإن العسل كان طعامًا لآلهة جبل أوليمبوس(٥٥).

سجلات الأسر الشريفة:

من المصادر الأخرى التي اعتمد عليها المؤرخون في كتابة تاريخ روما، سجلات الاسر الشريفة، حيث درجت الاسر الشريفة على في معظم الاحيان على كتابة تاريخ لنفسها تمجد فيها نفسها واعضائها البارزين، وذلك لكي تصنع لنفسها مكانة مرموقة اجتماعيًا وسياسيًا بين الاسر الاخرى في المجتمع.

---

(٥٤) المرجع نفسه، ص ٧.

(٥٥) أمين سلامة، المرجع السابق، ص ٧.

ومن الناحية التاريخية لا يمكن الاعتماد بشكل كلي على هذه السجلات، لانها في الغالب تكون غير موضوعية في تسجيل تاريخ الاسر الشريفة، حيث انها تجنح الى تمجيد اسلافها واحياء ذكراهم بكثير من المبالغة والتهويل فيما يتعلق بانجازاتهم وامجادهم، وذلك بغرض التفاخر والمباهاة امام الاسر الاخرى، وعلى ذلك فمن الصعب ان تكون هذه السجلات مصدرًا موثوقًا منه للمعلومات التاريخية بالنسبة للمؤرخين اللاحقين الذين كتبوا عن الفترة من اواخر القرن الثالث قبل الميلاد الى اواخر القرن الاول قبل الميلاد. ولم تقتصر كتابة سجلات للاسر على الاسر الشريفة فقط، فخلال مرحلة لاحقة من الجمهورية الروماني، اصبحت بعض اسر العامة من الاثرياء، لانخراطهم في مجال التجارة في ايطاليا وخارجها وبشكل خاص في الولايات الروماني، مما دفعهم الى تقليد الاسر الشريفة في كتابة سجلات لاسرهم، وذلك ليصنعوا لاسرهم تاريخًا ومجدًا مبالغًا فيها او يخلو من الحقيقة في معظم الأحيان(٥٦).

المبحث الثالث: نشأة مدينة روما والأساطير التى دارت حول تأسيسها

تقع مدينة روما في إقليم لاتيوم الذي يقع في وسط غرب إيطاليا، وللأسف فإن العلماء لا يعرفون إلا القليل جداً عن تاريخ هذا الإقليم قبل تأسيس مدينة روما في سنة ٧٥٣ق.م، إلا إنهم يجمعون فيما بينهم على أن تاريخ روما – قبل تأسيسها– كان مرتبطًا ارتباطا وثيقًا بمدينة قديمة ذاع صيتها في هذه المنطقة عرفت بمدينة "البالونجا"، هذه المدينة كانت تقع على بعد مسافة قريبة جنوب روما، وكان لها نفوذًا قويًا على مدن إقليم "لاتيوم"، وبدءً من سنة ١١٠٠ ق.م، فإن المؤرخين يتفقون على أن مدينة "البالونجا" كانت رئيسةً لحلف يتكون من ثلاثين مدينة لاتينية في إقليم لاتيوم، وكان لها نوعًا من الحكم على هذه المدن جميعًا.

والتاريخ المبكر لمدينة "البالونجا" مليء بالأساطير والخرافات، التي تجعل قراءته شيء صعب في استخلاص الأحداث الحقيقية من الأساطير التي دسها المؤرخين القدماء بين ثنايا الأحداث الحقيقية، وقد كانت مدينة "البالونجا" بمثابة مملكة منذ حوالي سنة ١١٥٠ق.م إلى منتصف القرن الثامن ق.م عندما تأسست مدينة روما، التي استطاعت بعد تأسيسها بقرن من الزمان أن تدمر مدينة "البالونجا"، حيث شن ملك روما "توللوس هوستيلليوس" حرب شعواء ضد المدينة العتيقة "البالونجا" ودمرها عن بكرة أبيها، ولم يبقى فيها شيء على وجه الأرض، وقتل الكثير من سكانها، ولم يستثني من ذلك إلا معابدها، التي أمر جنوده بألا يعبثوا بها.

---

(٥٦) محمد السيد عبدالغني، المرجع السابق، ص ٥٦– ٥٧.

أهمية الموقع الاستراتيجي والجغرافي لروما:

كان لموقع روما أهمية جغرافية وإستراتيجية كبيرة، دفعت مؤسسها إلى اختيار هذا الموقع وتفضيله عن غيره من المواقع الأخرى في إقليم لاتيوم، وسوف نتحدث فيما يلي بشيءٍ من التفصيل عن الأهمية الجغرافية والإستراتيجية لموقع مدينة روما.

أولًا: الأهمية الجغرافية لموقع روما:

وعندما نبتعد قليلًا عن حكي الأساطير المتعلقة باختيار رومولوس لموقع مدينة روما، فإننا نجد أن هذا الموقع لم يتم اختياره بمحض الصدفة البحتة أو اعتباطًا، بل تم اختياره لكونه موقع جغرافي واستراتيجي متميز يصلح لكي يكون أساسًا لمدينة قوية رغب مؤسسها في اختياره بعناية شديدة، فقد كان للعوامل الجغرافية دورًا بارزًا في اختيار هذا الموقع لكي تكون موطنًا لاستيطان الرومان منذ وقت مبكر من التاريخ، فقد كانت روما تقع على بعد ستة عشر ميلًا عن مصب نهر التيبر، تحيط بها سبعة تلال منخفضة، وقد نشأت المدينة على تل البلاتين، الذي كان مهيئا للسكنى منذ وقت مبكر من التاريخ، فقد كانت قمته عريضة وأكثر استواء مما اجتذب إليه الرعاة الوافدين من المناطق الشمالية للإقامة فيه، وتشير الحفريات إلى أن هذا التل كان مأهولا بالسكان منذ القرن التاسع قبل الميلاد، حيث تم العثور على جبانة لسكان هذا التل في الوادي الذي يقع أسفل التل([٥٧]).

فقد كانت التلال المحيطة بروما تقع على الضفة الشرقية أو اليسرى لنهر التيبر، مما يوفر لها وسائل الدفاع عنها ضد هجمات الأعداء، وكانت هناك جزيرة في نهر التيبر قسمت النهر إلى قسمين، مما سهل على سكان روما عملية العبور والانتقال من وإلى مدينة روما من الضفة الأخرى للنهر.

ثانيًا: الأهمية الاستراتيجية لموقع روما:

أما عن الأهمية الاستراتيجية لموقع مدينة روما فإن ذلك يظهر في إنها كانت تقع على طريق الملح (Via Salaria)، وهو طريق قديم جدًا، أول من استخدمه هم السابينيين، ويؤدي

([٥٧]) دونالد. دولي، حضارة روما، ترجمة جميل يواقيم الذهبي وآخرون، دار نهضة مصر القاهرة، (د.ت)، ص ٥.

هذا الطريق إلى الشمال ثم إلى الشمال الشرقي لروما وإلى ناحية الجنوب عند مصب نهر التيبر، وقد استخدمه السابينيين لنقل الملح من سبخات الملح عند مصب نهر التيبر مرورًا ببوابة "كولونيا" (Porta Collina) في سور "سرفيوس" ومن خلال بوابة الملح (Porta Salaria) في أسوار "أوريليوس"، ومن هذا المكان كانوا يتجهون إلى ناحية الشمال عبر أراضي السابيني ثم يخترقون جبال الأبنين انتهاءً بساحل البحر الادرياتيكي، حيث كانت حقول الملح تقع عند مصب نهر التيبر على الضفة الغربية أو اليمنى للتيبر، وكان الحصول على الملح يتطلب السفر إليه في طريق طويل من الأبنين عبر روما وصولًا إلى مصب التيبر من أجل الحصول على الملح، الذي كان من السلع الرائجة في هذا الوقت وكثير الاستخدام، لذلك فإنه حظي بعناية واهتمام شديدين. وقد كان لطريق الملح القديم جزء أخر يقع على الجانب الأخر لنهر التيبر وكان يعرف بطريق "كمبانيا" (Via Campana)، وقد سمي هذا الطريق بهذا الاسم لأنه كان ينتهي عند الحوض الذي كان يترسب فيه الملح عند مصب التيبر (Campus Salinarum).

ومنذ القرن الخامس قبل الميلاد حاك المؤرخون الإغريق العديد من الأساطير حول تأسيس مدينة روما، وذلك جريًا على عادتهم في تفسير أصول الشعوب الأجنبية التي يكتبون تاريخها، حيث كانوا يربطون هذه الشعوب بالأبطال الأسطوريين المتجولين، مثل "جاسون" (Jason) والمغامرون، و"هيراكليس" (Hercules)، أو "أوديسيوس" (Odysseus)، وفيما يلي سوف نتناول أشهر اسطورتين عن تأسيس مدينة روما.

الأسطورة الأولى:

ولعل أقدم وأشهر هذه الأساطير تلك الأسطورة التي تعود روايتها إلى "هيلانيكوس لسبوس" (Hellanicus of Lesbos)، وقد أصبحت هذه الرواية مقبولة عند معظم المؤرخين القدماء، وتدور هذه الرواية حول البطل الطروادي "إينياس" (Aeneas)، وبعض رفاقه الذين هربوا من مدينة طروادة بعد تدميرها على يد الإغريق، حيث ظل "إينياس" ورفاقه يجوبون البحر المتوسط لعدة سنوات إلى أن استقر بهم المقام في وسط إيطاليا، وتزوجوا من السكان الأصليين وأصبحوا من اللاتين، وأن التوأم "روموولوس" و"ريموس" الذين أسسوا المدينة كانوا من نسل "إينياس"، وبذلك فإن هذه الأسطورة ترجع تأسيس روما إلى "روموولوس" أحد أفراد سلالة البطل الطروادي "إينياس" بن ملك طروادة.

وعلى الرغم من أن رواية "هيلانيكوس" عن تأسيس مدينة روما رواية غير تاريخية تمامًا، حيث أن هذه الأسطورة تربط تأسيس روما بأحد أبطال مدينة طروادة، إلا أن الرومان في وقتٍ لاحق لظهور هذه الأسطورة كانوا مقتنعين بها كرواية من الروايات التي تناولت تأسيس مدينتهم،

بل أنهم قبلوها وأدمجوها في تراثهم الشعبي–الفلكلور الشعبي– الخاص ببداية تأسيس مدينة روما.

الأسطورة الثانية:

وهناك أسطورة أخرى مفادها أن التوأم "ريموس" و "رومولوس" كانوا أبناءً لـ "مارس" إله الحرب عند الرومان، من بنت "نوميتور" (*Numitor*) ملك البالونجا (*Alba Longa*)، وأن "أموليوس" (*Amulius*) شقيق "نوميتور" ملك "البالونجا"، قام بالإطاحة بأخيه من العرش وأغتصب العرش من أخية "نوميتور"، ثم تخلص من التوأم حتى لا يكون لهم حق المطالبة بعرش جدهم، حيث وضعهم في سلة وقذفهم في نهر التيبر، ولكن يشاء القدر أن يبقى التوأم على قيد الحياة، حيث قذفتهم مياه النهر إلى الشاطئ، ووجدتهم ذئبة قامت بإطعامهم من ضروعها، ثم رأى ذلك الموقف أحد الرعاة – يدعى فاوستولوس– الذين كانوا يرعون قطعانهم حول التيبر، فأخذهم وتكفلت عائلة الراعي بتربيتهم، وقد بحث الراعي عن جدهم وجمع شملهم، وعندما كبر التوأم أطاحوا بملك "البالونجا" من العرش، وعزموا على تأسيس مدينة خاصة بهم، إلا أنهم تشاجروا على اختيار موقع المدينة أو على من يحكمها، وقتل "رومولوس" "ريموس"، وأصبح ملكا للمدينة، وسمى هذه المدينة على اسمه – روما– تكريمًا وتشريفًا لنفسه.

ويرى البعض أن أسطورة تأسيس روما ما هو إلا نوع من الفلكلور الشعبي، الذي كان واسعًا الانتشار في أرجاء مختلفة من البحر المتوسط في هذا الوقت، وأن هذه الأسطورة مجرد محاكاة رومانية للأساطير التي كانت منتشرة في مناطق مختلفة من حوض البحر المتوسط، مثل الأسطورة الخاصة بالملك "سرجون الأكدي" (Sargon) في سنة ٢٣٠٠ ق.م، أو الأسطورة الخاصة بالملك الفارسي "قورش العظيم"، أو الأسطورة الخاصة بملك طيبة "أوديب"، والتوأم "نيلوس" (Neleus) وبيلوس (pelias) في الأساطير اليونانية.

تاريخ تأسيس المدينة:

وقد أختلف الكتاب الرومان الأوائل حول تاريخ تأسيس المدينة، إذ أن الشاعر "كوينتوس أنيوس" Quintus Ennius يرجعه إلى حوالي سنة ٩٠٠ق.م، والمؤرخ "كينكيوس اليمنتوس" Cincius Alimentus يرجعه إلى ٧٢٨ ق.م، والمؤرخ "فابيوس بيكتور"(ولد حوالي سنة ٢٥٤ ق.م) Fabius Pictor يرجعه إلى ٧٤٨ق.م ويرجعه تيمايوس (Timaeus) الى ٨١٤ق.م، بينما الفقيه "ماركوس ترنتيوس فاروو"(١١٦–٢٧) Marcus Terentius Varro

يرجع ذلك إلى سنة ٧٥٣ ق.م، أما "كينكوس أيليمنتوس" (Cincius Alimentus)، فانه يرجع تاريخ تأسيس روما إلى سنة ٧٢٨ق.م.([٥٨])

ولكن عند نهاية عصر الجمهورية الروماني كان تاريخ ٧٥٣ ق.م هو الأكثر قبولًا بين جموع المؤرخين كتاريخ لتأسيس مدينة روما، وأصبح التاريخ الرسمي لتأسيس للمدينة ونقطة البداية لاحتساب تواريخ الأحداث في التاريخ الروماني، وكانت سنة ٥٠٩ ق.م هي السنة التي أقيم فيها النظام الجمهوري في روما بعد القضاء على النظام الملكي في روما.

ونظرًا لأن التاريخ المقبول لدى معظم المؤرخين لتدمير طروادة يرجع إلى سنة ١١٨٤ ق.م، فإن المؤرخين الرومان لكي يبقوا على العلاقة غير التاريخية بين روما وطروادة، فإنهم لجئوا إلى حيلة مبتكرة، فحواها أن هناك سلسلة من الملوك الأسطوريين الذين يعتقد بأنهم كانوا ينحدرون من نسل "إينياس" الطروادي، وأن هؤلاء الملوك حكموا المدينة اللاتينية البالونجا في الفترة الفاصلة بين سنوات ١١٨٤ ق.م وبين ٧٥٣ ق.م.

المبحث الرابع: مراحل التاريخ الروماني

أجمع المؤرخون على تقسيم تاريخ روما إلى ثلاث مراحل مختلفة كل مرحلة من هذه المراحل كانت لها سماتها وخصائصها المميزة التي جعلتها تختلف اختلاف جذري عن المراحل الأخرى، وهذه المراحل هي:

أولًا: مرحلة الحكم الملكي

بدأت هذه المرحلة بالملك "رومولوس" المؤسس لمدينة روما وانتهت بحكم الملك الاتروسكي "تاركوينيوس المتغطرس"، الذي قامت ضده ثورة شعبية أطاحت به من الحكم، وسقط نظام الحكم الملكي وقام بدلًا منه نظام الحكم الجمهوري، وقد استغرقت هذه المرحلة الفترة من تأسيس مدينة روما ٧٥٣ق.م حتى ٥٠٩ق.م.

ثانيًا: مرحلة الحكم الجمهوري

([٥٨]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص، ٦١. وراجع أيضاً: وراجع أيضاً: إبراهيم رزق الله أيوب، التاريخ الروماني، الطبعة الأولى، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، ١٩٩٦، ص ٢٤ . وراجع أيضاً:

K. Bringmann, *A History of The Roman Republic*, Cambridge, 2007, p. 2 .

N. Sekunda, &others, *Early Roman Armies*, Men-At-Armies, Fourth Edition, Oxford, 2001, p. 8 .

بدأت هذه المرحلة بالقضاء على نظام الحكم الملكي سنة ٥٠٩ق.م، وتأسيس نظام حكم جديد عرف بنظام الحكم الجمهوري، حيث تم استبدال الملك بأثنين من القناصل يحكمون لمدة سنة، وذلك لضمان عدم الاستبداد والعودة إلى الحكم الملكي الفردي، وقد استمر هذا النظام حتى سنة ٣١ق.م بانتصار أوكتافيوس على أنطونيوس وكليوبارتا السابعة في معركة أكتيوم البحرية، والبعض يرى أن النظام الجمهوري في روما ينتهي في سنة ٢٧ق.م بمقتضي التسوية التي عقدت بين أوكتافيوس ومجلس السناتو لتوزيع إدارة الولايات بينهم.

ثالثًا: مرحلة الحكم الامبراطوري

امتدت هذه المرحلة من ٢٧ق.م عندما حدثت تسوية بين مجلس السناتو وبين أوكتافيوس، الذي أصبح منذ هذا الوقت يعرف بأغسطس بمعني المهيب أو الجليل، ذلك اللقب الذي منحه السناتو إياه، تكريمًا لما قام بها من حماية الرومان من خطر الملكة كليوباترا السابعة والتخلص منها ومن غريمها وضم مصر إلى أملاك الشعب الروماني، وبمقتضى هذه التسوية تم توزيع إدارة الولايات بين السناتو وأوكتافيوس، وقد استمر النظام الإمبراطوري في الجزء الغربي من الإمبراطورية الرومانية حتى سنة ٤٧٦م، واستمر النظام الإمبراطوري في الجزء الشرقي من الإمبراطورية الرومانية حتى سنة ١٤٥٣م.

المبحث الخامس: فترة الحكم الملكي (٧٥٣-٥٠٩ق.م)

يشير مصطلح (*Regnum*) إلى فترة الحكم الملكي أو الفترة الملكية، وهي الفترة المبكرة من تاريخ روما منذ تأسيسها في سنة ٧٥٣ ق.م إلى تأسيس نظام الحكم الجمهوري عند بداية القرن السادس قبل الميلاد، وبشكلٍ عام كان هذا المصطلح يشير إلى السيادة أو السلطة العليا التي يمتلكها الملك على جميع أفراد الشعب ومؤسساته في هذه الفترة، وهذا المصطلح كان يشير أيضًا إلى الممالك الأجنبية بمصطلح(*Regnum alienum*).

أولًا: الملك:

استمرت فترة الحكم الملكي في روما حوالي مائتين وخمسون سنة، خلالها حكم المدينة سبعة ملوك، بداية من مؤسس المدينة الملك "رومولوس" حتى الملك السابع المعروف باسم "تاركوينيوس سوبيربوس" (*Tarquinius Superbus*) أو "تاركوينيوس المتغطرس"، الذي ثار الرومان ضده وطردوه من المدينة بعد أن خلعوه من العرش في سنة ٥٠٩ق.م، وبذلك انتهت فترة الحكم الملكي في روما، وبدأت فترة تاريخية جديدة في تاريخ الرومان عرفت بفترة نظام الحكم الجمهوري عند الرومان.

تشير الروايات التاريخية بشكل قوي إلى وجود الملك على قمة حكم روما منذ عصورها البدائية الباكرة، وأن الملك قد لعب دورًا فاعلًا في عملية الاتحاد السياسي لعناصر وأفراد المدينة، فقد سما الملك فوق العلاقات القبلية وروابط النسب، وبذلك عمل على تغييب وإلغاء عنصر السلالة الحاكمة في النظام الملكي منذ وقت مبكر، وتصدى للمنطق الأبوي والأسري الذي كان مهيمنًا على المدينة في وقت مبكر من تاريخها، ولذلك فإن الابن لم يستطيع أبدا أن يخلف والده في وراثة الحكم بعد وفاته، فقد كانت فترة حكم الملك تنتهي بوفاته، وذلك وفقًا للتقاليد القديمة التي كانت سائدة في إقليم لاتيوم في فترة ما قبل التاريخ، تلك الفترة التي كان يحكم فيها الكهنة بوصفهم ملوكًا لمدن الاقليم.

وعند موت الملك كانت الدولة تدار بواسطة مجلس الشيوخ (*res ad patres rediit*)، وكان مجلس الشيوخ يقوم بدوره في تعيين سلسلة من الملوك المؤقتين لادارة شئون الدولة (*interreges*)، حتى يتم استدعاء الشعب لاجتماع جمعية الكور (*comitia curiata*)، وفي هذا الوقت فان المرشح المقترح من قبل الملك المؤقت (*interrex*)، كان يحصل على التصويت الايجابي للشعب (*lex curiata*)، وعلى تأييد وتصديق مجلس الشيوخ (*patrum auctoritas*).

وتؤكد المصادر التاريخية على الارتباط الوثيق منذ البداية بين إرادة الآلهة وتعيين الملوك الجدد، فقد كانت الإرادة الإلهية أساساً لتعيين هؤلاء الملوك الجدد، فعلى سبيل المثال أسرع "رومولوس" المؤسس الأسطوري لروما قبل تأسيسها باستشارة الآلهة بشكلٍ مباشر عن الإشارات المواتية لموقع مدينته على تل البلاتين، كما أن خليفته "نوما بومبيليوس" (*Numa Pompilius*)، الذي لا يقل أسطورية بأية حال من الأحوال عن سلفه، كان أول شخص يتم تعيينه ملكاً من خلال طقوس دينية مقدسة أو (*inauguratio*)، وخلال هذه الطقوس وضع الكاهن يده اليمنى على رأس نوما، وطلب من الإله "جوبيتر" (*Jupiter*) إشارات واضحة بأنه يجب أن يكون ملكاً، وقد استمرت هذه الطقوس الدينية في تعيين الملوك حتى العصر الإمبراطوري، وكانت تتم هذه الطقوس في مكان مقدس بنيت خصيصًا لهذا الغرض في المعبد(*templum*).

وبما أن الملك كان يتم تعيينه وفقًا لطقوس الدينية (*rex inauguratus*) او انه جاء وفقًا للأمر الإلهي، فانه استغل ذلك الأمر في إحاطة نفسه بهالة من القدسية، حيث أصبح هذا الملك يشغل منصب الكاهن الأكبر لروما، وقام بدور الوسيط بين المجتمع والآلهة، ولم يكن الأمر الإلهي فحسب سببًا في تعيين الملك، بل أن الشعب ومجلس السناتو كانوا شركاء في تعيين الملك الجديد، حيث كان هناك عضواً في مجلس السناتو يسمى (*interrex*)، كان مختصًا

بتعيين الملك الجديد، وكان تعيينه أو (*creatio*)، ثم بعد ذلك كانت تتم الطقوس الدينية الخاصة بتعيين الملك الجديد (*inauguratio*)، ثم بعد ذلك كان الملك الجديد يجتمع مع الجمعية الشعبية (*comitia curiata*)، وأمام هذه الجمعية خول للملك التمتع بكامل سلطاته، وهذا الأجراء الرسمي سمح لرعاياه في المستقبل خاصة جيشه، أن يشاركوا في تعيين الملك الجديد، وذلك من خلال ما يعرف بقانون "جمعية المئينات الخاص بمنح سلطة الامبريوم العسكري" (*lex curiata de imperio*)، كان يعتبر أخر خطوة لشغل الوظيفة– وظيفة الملك–، وقد استمر الرومان في إتباع هذه الإجراءات في العصر الجمهوري، في عملية تعيين كبار الحكام في وظائفهم.

وقد كان الملك يحمل لقب (*Rex*)، وكان يعتبر الأسمي مكانة بين أفراد الشعب الروماني، لأنه يمتلك السلطة القانونية والسلطة العسكرية العليا، وكان الملك أيضا الكاهن الأكبر ، وكان يترأس الاحتفالات الدينية المقدسة في المدينة، وكانت تعد واجباته الدينية الأكثر أهمية من بين الواجبات التي كان يقوم بها في وقت السلم، ونظام الحكم الملكي لم يكن وراثيًا بل كان انتخابيا، حيث كان يتم انتخاب الملك من قبل الشعب لمدي الحياة.

ونظراً لإن الملك كان يعتبر القائد العسكري والكاهن الأكبر، فإنه كان في نفس الوقت القائد الأعلى للجيش (*ductor*)، وراعى أو ضامن السلام مع الآلهة (*pax deorum*) داخل المدينة، حيث كان الملك الحارس الأعلى ومشرع للقوانين، والخبير الوحيد والمتحدث بقوانين المدينة، والقائم على تطبيقها لحل المنازعات التي تنشأ بين الأفراد ومعاقبة المجرمين الخارجين عن القانون، وقيام الملك بتطبيق القوانين يضمن أمن واستمرار وجود وبقاء المجتمع.

وكان يساعد الملك في القيام بالمهام الملقاة على عاتقه مجموعة من المساعدين، هؤلاء المساعدين حرص الملك على اختيارهم بنفسه بشكل دقيق، ففي الشؤون العسكرية كان للملك مساعد بلقب (*magister populi*)، قائد الجيش كان يحل بديلا عن الملك في قيادة الجيش عند الضرورة أو عند غياب الملك(وهنا تجدر الإشارة إلى ان مصطلح *populus* ، كان يستخدم في الاصل للاشارة الى الجيش أكثر من الاشارة الى المجتمع بكل مواطنيه)، وأيضاً كان هناك قائد الفرسان (*magister equitum*) الذي كان يساعد الملك جنبا إلى جنب قائد الجيش، وكان قائد الفرسان مكلفًا بقيادة سلاح الفرسان. وفيما يتعلق بإدارة الحكومة المدنية، فان الملك لم يعمل بمفرده في إدارتها، بل كان له مساعدين يعينونه على هذه المهام، فمنذ وقت مبكر جدا كان له مساعداً يعرف بوالي أو "حاكم المدينة" (*praefectus urbi*) وهذا الحاكم اكتسب مزيد من الأهمية بمرور الوقت، خاصة في مجال القانون المدني والجنائي، فضلا عن ذلك، فان هذا الحاكم كان مفوضًا عن الملك بفرض احترام المواطنين لتقاليد المدينة(*mores*)، وتلقي أيضا الملك المساعدة من هيئة الكهنة، الذي ربما كان الملك احد اعضائها.

وتشير المصادر القديمة إلى وجود عدد من القوانين التي قام بإصدارها الملك عرفت بـ (*leges regiae*) أو "قوانين الملك"، ومجموعة من اللوائح القانونية التي صدرت من قبل كل ملك من ملوك روما خلال فترة الحكم الملكي. وقد تميزت مشروعات قوانين الملوك بأنها لم تكن خاضعة للموافقة الرسمية عليها من قبل الجمعية الشعبية، وذلك على عكس مشروعات القوانين التي كان يتقدم بها الحكام في العصر الجمهوري، حيث كان يستلزم تحويل مشروعات قوانينهم إلى قوانين، أن تتم الموافقة عليها أولا من قبل الجمعية الشعبية للمواطنين الرومان.

وفي بعض الأحيان لم يكن هناك تمييز واضح بين سن القوانين الملزمة لكل أفراد المجتمع وبين الفصل في المنازعات بين المواطنين (*cives*). ويؤكد العلماء المحدثين على الطابع الواقعي للقانون الروماني في هذه الفترة المبكرة من تاريخ الرومان، فقد كان المواطنون الرومان على إدراك بوجود القانون فقط عندما كان يتم إصدار قرار قضائي في حق احد المواطنين.

بالإضافة إلي الملك كانت هناك مؤسسات قانونية ودستورية وعسكرية في البلاد، وللأسف فإن الغموض يحيط بكثير من تفاصيل هذه المؤسسات في العصر الملكي، بينما لا يمكن الاعتماد على المصادر التاريخية المتأخرة بشكل كامل، لان هذه المصادر تميل إلى إرجاع أصل بعض المؤسسات الجمهورية إلى العصر الملكي، وعلى أية حال سوف نتناول أهم المؤسسات التي ظهرت في العصر الملكي وهي مجلس الشيوخ، الجمعية الشعبية، الجيش الروماني.

وكما كان الحال بالنسبة لمعظم المجتمعات القديمة في بداياتها المبكرة، فإن إدارة شؤون العدالة في كثير من الأحيان كانت تتركز بشكل أساسي على مجال القانون الجنائي وإصدار عقوبات ضد الأفراد الذين يمارسون سلوكيات وتصرفات ضارة في حق غيرهم من أفراد المجتمع، وقد تم التأكيد على هذا المجال منذ وقت مبكر بوجود اثنين من مساعدي الملك هما (*duoviri perduellionis*) و (*quaestores parricidii*)، الذين اختصوا بشكلٍ خاص في النظر ومقاضاة المجرمين المتهمين بجرائم خطيرة أو جرائم الخيانة العظمى في المجتمع.

وبالإضافة إلي ذلك فان الملك كان له دور في المجال العلمي، ويظهر هذا الدور في أن الملك كان حارسًا ومحافظًا على الوقت، ومسؤولا عن ضبط إيقاع الحياة في المدينة، خاصةً أن الرومان لم يضعوا حتى هذا الوقت نظام تقويم ثابت مرتبط بدورة السنة الشمسية، حيث كان التاريخ والوقت يحددان وفقًا لنظام مرن ومتغير باستمرار اعتمادًا على الدورة القمرية، وقد كان هذا التقويم مستخدمًا في تحديد وقت وتاريخ كل المناسبات في المدينة، وفي تحديد اجتماعات الجمعية الشعبية، وفي تحديد الأيام التي يتم فيها النظر في القضايا وشؤون العدالة، أيضًا في

تحديد موعد الاحتفالات المتعددة التي كانت تقام احتفالاً بالمراحل المختلفة للعمل الزراعي. و عند بداية كل شهر كان الكاهن الأكبر (*pontifex maximus*) يقوم بعقد الجمعية الخاصة الدينية (*Comitia calata*)، وبهذه المناسبة كان الملك يعلن تقويم هذا الشهر، محددًا الأيام المسموح فيها القيام بالعمل (*dies fasti*)، وفي هذه الأيام يمكن عقد جلسات المحاكم ويمكن للقضاة والمحلفين أن يمارسوا سلطاتهم القضائية، والأيام التي لا يمكن فيها مزاولة أي عمل أو نشاط (*dies nefasti*)، وهذه الأيام كان ممنوع فيها انعقاد المحاكم أو اجتماعات الجمعيات الشعبية، لان هذه الأيام كانت مخصصة لإقامة المراسم والطقوس الدينية الاحتفالات العامة.

ثانيًا: المؤسسات القانونية والدستورية والعسكرية في العصر الملكي

بالإضافة إلى الملك الذي كان يأتي على رأس السلطة التنفيذية في روما في العصر الملكي، كانت هناك العديد من المؤسسات القانونية والدستورية والعسكرية في هذا الوقت، منها على سبيل المثال لا الحصر: مجلس الشيوخ، والجيش الروماني، والإحصاء.

مجلس الشيوخ:

بعد أن فرغ رومولوس من تأسيس مدينته، شرع في تكوين قوة عسكرية تقوم بحماية المدينة، حيث قام بإنشاء مجلسًا للمدينة عرف بمجلس الشيوخ (*Senatus*)، وعلى الرغم من أن مهام مجلس السناتو في العصر الملكي كانت غير واضحة، إلا إنه كان له دور في التصديق على انتخاب الملك مدى الحياة، وربما كان الدور الرئيسي لمجس السناتو في هذه الفترة، بمثابة مجلس استشاري للملك، وفي الأصل كان يتكون مجلس السناتو من مائة عضو، ثم بعد ذلك ازداد عدد أعضائه (*patres*) إلى ثلاثمائة عضواً.

وكان مجلس السناتو يعد واحدًا من أهم وأقدم المؤسسات الدستورية الروماني، وقد ظل موجودًا طوال تاريخ الرومان حتى سقوط إمبراطوريتهم، ولم يحدث أي تغيير جذري على البنية الأساسية لمجلس السناتو طوال فترة وجودة، كما انه لم يطرأ إي تغيير على أهميته القانونية والروماني بالنسبة للرومان.

وفي العصر الجمهوري أصبح مجلس السناتو أهم مؤسسة في البلاد فيما يتعلق بالسياسة الداخلية والخارجية للبلاد، ولم تكن هناك قواعد قانونية ثابتة ومحددة تحدد طريقة عمله أو نشاطه، فقد كانت علاقته سواء بالجمعيات الشعبية (*Comitia*) من ناحية أو علاقته بالحكام من ناحية أخري منظمة وسارية وفقًا للعرف، الذي كان متعارفًا عليه في تحديد علاقة السناتو

بالمؤسسات الأخرى في البلاد، وفي مجال العلاقات الخارجية كان اهتمام مجلس الشيوخ منصبًا على نشاط استقبال السفراء والوفود الدول الأجنبية وتعيين السفراء للسفارات في الخارج.

الجيش الروماني:

ثم بعد ذلك قام رومولوس بتكوين قوة عسكرية للدفع عن المدينة وليدة النشأة ضد الأعداء، وتُشير المصادر إلى أن المؤسس الأول للفرقة الروماني هو الملك رومولوس(٥٩)، بعد أن فرغ من تأسيس المدينة، وإنشاء مجلس الشيوخ(٦٠)، كون قوة عسكرية صغيرة للدفاع عن المدينة(٦١)، عرفت باسم الجيش الروماني تكونت من وحدات تكتيكية عرفت باسم المئينات Centuriae، ووحدات أخرى تعرف باسم السرايا manipuli(٦٢).

هذه الجيش بلغ عددها ثلاثة آلاف جندي من سلاح المشاة Pedites، وثلاثمائة فارس من سلاح الخيالة(أو المشاة الراكبون) Celeres(٦٣)(شكل رقم١)، تم تجنيدهم من المواطنين الأغنياء القادرين علي تزويد أنفسهم بالخيول والأسلحة على نفقاتهم الخاصة(٦٤)، من قبائل روما القديمة الثلاث(٦٥)- وهى: قبيلة رامنيس Ramnes، وقبيلة تيتيس Tities، وقبيلة

---

(٥٩) Varro. Ling.V. 87 ; Plut. Rom. XIII .

(٦٠) H. Liebert, Between City and Empire : Political Ambition and Political from in Plutarch s Parallel Lives, a Dissertation The Faculty of The Division of The Social Science, PH.D, Chicago, 2009, p. 185 .

(٦١) P. Southern, op. cit., P. 87

(٦٢) Plut.Vit. Rom. XIII.

(٦٣) ورد ذكرهم في بعض المراجع باسم خيالة رومولوس، وبقى أسمهم مقترناً باسم الترابنة، بمعنى ضباط سلاح الخيالة Tribuni celerum حتى بداية العصر الإمبراطوري، ولكن بعد ذلك لم يصبح بمعنى قادة عسكريين، ولكن بمعنى كهنة ثانويين. راجع:

A. Momigliano, “The Origins of Rome”, in: CAH, Vol. VII, Part 2, Chapter 3, Cambridge, 1989, pp. 104-105 .

(٦٤) M. T. Boatwright, &others, The Romans From Village To Empire, Oxford, 2004, p. 43.

(٦٥) تعرف هذه القبائل باسم القبائل الرومولوسية نسبة إلى مؤسسها "رومولوس"، استمرت هذه القبائل لوقت طويل لها تأثير على تنظيم الجيش الروماني، وكذلك وحداتها الصغيرة التي عرفت باسم الكور- كل قبيلة

لوكريس Luceres –(٦٦)، أسهمت كل قبيلة بعدد ألف جندي من المشاة يقودهم ضابط برتبة تربيون عسكري Tribunus Militum، ومائة فارس من الخيالة Celeres يقودهم ضابط برتبة تربيون خيالة Tribunus Celerum(٦٧).

في حوالي سنة ٦٠٠ ق.م سقطت مدينة روما تحت سيطرة الاتروسكيين، الذين كانوا يقيمون في شمال ايطاليا وكانوا أكثر تحضرًا من الرومان، ولم تتأثر روما بشكلٍ سلبي بالحكم الاتروسكي لها، فخلال هذه الفترة واصلت مدينة روما ازدهارها وتطورها في كنف الاتروسكيين، وقد ظهر هذا الازدهار في نواحي عديدة سواء في الزراعة أو التجارة أو بناء الطرق والمباني العامة.

وخلال حكم الملوك الأتروسكيين لروما(٦٨)، شهدت الجيش الروماني تغيرات جذرية في كلٍ من تكتيكها وتشكيلها العسكري، وذلك بظهور تكتيك جديد عرف باسم تكتيك الهوبليت(٦٩) وأسلحة جديدة خاصة به(٧٠)؛ أعتمد هذا التكتيك على الانضباط والتماسك

كانت تنقسم إلي ثلاثين كوره– حتى بعد أن تم تكوين المئينات Centuriae بواسطة الملك "سرفيوس توليوس". للمزيد عن ذلك راجع:

A. Momigliano, op. cit., p. 105 .

(٦٦) M. L. Glay, & Others., A History of Rome, Oxford .2001, P. 28 ; P. Southern, op. cit., p. 87 .

(٦٧) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٢٨.

(٦٨) يرجع أصلهم إلى مدينة تاركويني Tarqunii الاتروسكية، ويدينون بالفضل في كثير من مؤسساتهم المدنية والعسكرية إلي الإغريق. للمزيد عن أصلهم وتاريخ استقرارهم بإيطاليا. راجع:

N. Sekunda & others, op. cit., P.3. ; E. S. McCartney, “The Military indebtedness of Early Rome to Etruria”, Mem. Am. Acad.1 (1915–1916), p. 121.

وراجع أيضاً: إبراهيم نصحي: تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ٣٧ –٤٧ .

(٦٩) مصطلح Hoplites يعني المشاة الثقيلة التسليح وهو مستمد من أسم الدرع الدائري الكبير Hoplon، الذي يرجح أنه عرف لأول مره سنة ٧٠٠، وهذا الدرع لم يقتصر استخدامه فقط في صد ضربات الخصم، ولكن أستخدم أيضاً بشكل فعال في التقدم والدفع الذي يعد جوهر قتال تشكيل الفالانكس. راجع:

Diod. Sic. XV, 44, 3 ; XXIII. 2.1 ; V. D. Hanson, Hoplites, The Classical Greek Battle Experience, New York, 2003, p. 15 ; P. Southern, op. cit., p. 87 ; A. M. Snodgrass, The Hoplite Reform and History, JHS 85 (1965), p. 110 .

والثبات النفسي وقوة التدافع المنظم(٧١)، ولم يسمح للقيام بمناورات عسكرية في ميدان المعركة، وفيه لم تكن المبادرة بالهجوم شيء ضروري، لأن نتيجة المعركة حُددت بناءً على قدرة القوات فى الحفاظ على تماسك صفوف قواتها، وكان من النادر أن تنتهي معارك تكتيك الهوبليت بتطويق أحد الخصوم للأخر، وإن كان ذلك يحدث أحياناً ليس لمناورات يقوم بها الجنود الهوبليت(شكل رقم٢)، ولكن بسبب الميل الطبيعي في هذا التكتيك إلى الابتعاد عن أجنحة الجيش التي تكون غير محمية بالدروع(٧٢).

وقد ترتب علي ظهور تكتيك وأسلحة الهوبليت الجديدة في روما، ظهور تشكيل جديد لتنظيم الجيش الروماني في ميدان المعركة عرف باسم تشكيل الفالانكس(٧٣)، الذي أعتمد على تنظيم جنود الجيش الهوبليت في تشكيل قريب ومغلق، وهو إغريقي الأصل تم استيراده إلى ايطاليا عن طريق المستعمرات الإغريقية في جنوب شبة الجزيرة الايطالية، ويتكون من ثمانية صفوف في العمق، وجنوده مسلحين بدروع مستديرة كبيرة وحربة طويلة للطعن استخدمت كسلاح هجومي رئيسي بالإضافة إلى سيف قصير، كانوا يتقدمون كجسد واحد مثل البكرة. وهذا التشكيل يحتاج لحماية بقوة من سلاح الخيالة أو من المشاة الخفيفة توضع علي الأجنحة. وهو بمثابة قوة قتالية هائلة علي الأرض ذات التضاريس المستوية، أما التضاريس الوعرة فإنها كانت تؤدى إلى انهياره وإلحاق الهزيمة به(٧٤).

---

(٧٠) أول ظهور لهذا التكتيك كان في بلاد الإغريق في أواخر القرن الثامن ق. م، ثم أنتشر استخدامه بين المدن الأتروسكية حوالي سنة ٦٥٠، بينما الدليل علي وجود هذا التكتيك والأسلحة الخاصة به في روما والمجتمعات اللاتينية الأخرى في هذا الوقت المبكر ضعيف، ولكن يبدو بان أسلحة الهوبليت كانت في حيز الاستخدام الفعلي في روما بعد قدومه بوقت قليل إلى إقليم اتروريا Etruria. للمزيد راجع:

J. Rich, “Warfare and The Army in Early Rome”, in: A Companion to the Roman Army, Part 1, Chapter 1, Oxford, 2007, p. 17 .

(٧١) P. Cartledge, Hoplites and Heroes: Sparta's Contribution to The Technique of Ancient Warfare, JHS 97 (1977), pp. 15-16 .،

(٧٢) K. W. Meiklejohn, Roman Strategy and Tactics From 509 to 202 B. C, G&R, 7 (1938), p.171

(٧٣) J. Rich, op. cit., p.17 .

(٧٤) P. Southern .op. cit., p. 88 .

ثالثًا: نهاية العصر الملكي

كانت هناك عدة أسباب أدت إلى زوال الحكم الملكي في روما، حيث لم تكن نهاية هذا العصر مفاجئة، بل كانت متوقعة، نتيجة لعدد من الأسباب المباشرة والأسباب غير المباشرة، وتمثلت الأسباب غير المباشرة في تذمر الشعب الروماني من الملك "تاركوينيوس المتغطرس" (Tarquinius Superbus) بعد أن قتل وانتزع الملك بطريقة غير شرعية من الملك "سرفيوس توليوس"، وبعد المعاملة القاسية التي عامل بها الشعب الروماني. تلك المعاملة التي طالت أعضاء مجلس السناتو، الذين قام باضطهادهم والتكنيل بهم، وقيامه بإنهاك الشعب الروماني في العمل في إنشاء نظام صرف صحي، المعروف باسم (Cloaca Maxima)، من خلاله تم تجفيف سطح تلال روما من المياة وتصريفها إلى نهر التيبر لكي تصب فيه في نهاية المطاف، فضًلًا عن ذلك، فإن تاركوينيوس قد استخدم وسائل القمع ضد معارضيه في كل أنحاء إقليملاتيوم، وجعل من نفسه زعيمًا للحلف اللاتيني.

ومع ذلك فإن السبب المباشر في سقوط "تاركوينيوس" ونهاية العصر الملكي، ترجع الى السلوك الشائن لابنه سكستوس (Sextus)، الذي قام باغتصاب "لوكريتيا" (Lucretia)، وقد كان هذا السلوك بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير، حيث ترتب على ذلك انتحار لوكريتيا، مما أثار حفيظة وغضب الشعب الروماني، الذي هب ثائرًا ومتمردًا في وجه الملك من أجل الثأر للوكريتيا، وقد أدت ثورتهم إلى نفي عائلة تاركوينيوس من روما، وتم استبدال النظام السياسي أو النظام الملكي بنظام جديد عرف فيما بعد بنظام الحكم الجمهوري.

المبحث السادس: توسع روما في إيطاليا حتى قيام الاتحاد الإيطالى بزعامتها

دار نقاش كبير حول طبيعة الإمبريالية الروماني أو عملية التوسع الروماني خلال العصر الجمهوري، التي استغرقت قرون عديدة في حروب متواصلة دون هوادة، وقد رأي المؤرخون الرومان القدامى، ان هذه الحروب قامت بها روما من اجل الدفاع عن نفسها، وهذه الرؤية لهؤلاء المؤرخون تنبع من كونهم أعضاء قي مجلس السناتو، وقد كتبوا تاريخ روما وفقًا لهذه الرؤية او الاتجاه، بينما عملوا بكل ما استطاعوا من قوة على إخفاء الحقائق التي لا تتناسب مع وجهة نظرهم. والأطروحات العلمية الحديثة تسير على نهج المؤرخون القدامى، وتؤيد فكرة أن

تتضح لنا أهمية التضاريس واختيار المناسب منها، أن القائد العسكري في تشكيل الفالانكس كانت تستنزف قواه تقريباً في عملية اختيار الأرض المناسبة له في للقتال، وقد كان الاسبرطيين أكثر الناس أتقاناً لهذا التشكيل. راجع:

P. Cartledge, op. cit., p. 16 .

حروب روما كانت حروب دفاعية، الا ان هذه الرؤية حول طبيعة الامبريالية الروماني قد فقدت مصدقيتها إلى حدٍ كبير، حيث أن هذه الحروب الدفاعية لا تنطبق إلا على حروب روما في القرن الخامس قبل الميلاد والحروب التي تلتها في وقت لاحق خاصةً حروب روما ضد الغال، اما غير ذلك فلا يمكن ان تكون حروب دفاعية.

ويرى "كويبر" (Kuiper)، إن الإمبريالية الروماني كانت ذات طبيعة هجومية، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب، أولها: أن السعي الدؤوب من قبل روما إلى التوسع المتواصل على حسابها جيرانها، قد دفعها إلى القيام باثارتهم واستفزازهم، لكي يهبوا في الدفاع عن انفسهم ضد عملياتها الاستفزازية التي تقوم بها ضدهم. وثانيها: أن القناصل الرومان كانت لهم مصلحة في الحرب، لانهم كانوا على رأس القيادة العسكرية للفرق الروماني في ميدان المعركة، وكانوا يؤيدون ويحبذون الحرب على السلام، لكي يحققوا انتصارات عسكرية تكسبهم مزيدًا من المجد والشرف والرفعة الشخصية، وذلك مما يعزز من مكانتهم الاجتماعية والسياسية بين أقرانهم في المجتمع. ثالثها: أن قرار الحرب والسلام كان بيد جمعية المئينات، التي كانت تنحاز احيانًا إلى خيار الحرب على حساب قرار السلام، وذلك طمعًا في تحقيق الثراء، الذي سوف يعود عليهم من نسبة الغنائم التي يتم الاستيلاء عليها من الأعداء المنهزمين في الحرب. ورابعها: أن روما خلال الفترة من ٣٨٧-٢٤١ق.م، قد قامت بإنشاء أربعة عشر قبيلة ريفية جديدة، وهذا يشير الى النمو المطرد في حجم سكان روما، الذي قد يكون قوةً دافعة للتوسع الروماني في هذا الوقت. وخامسها: أن الرومان الذين كانوا يعيشون على الحدود قد ايدوا بشدة عمليات التوسع الروماني التي تتم ضد جيرانهم الرُحّلْ مثل الغال والسمنيين، فقد كان مربوا الحيوانات من السمنيين والغاليين يرعون حيواناتهم على التلال والهضاب المرتفعة في فصل الصيف وفي الأودية في الشتاء في هذه المناطق، مما تسببت في احتكاك ونزاع بينهم وبين المزارعين الرومان المسقرين في هذه المناطق.

كانت هناك العديد من الاسباب التي دفعت روما الى الاتجاه نحو سياسة التوسع، والخروج من نظام المدينة الى نظام التوسع او الامبراطورية، اولها السبب الجغرافي، حيث تضاريس ايطاليا كانت تساعد على اتجاه التوسع اكثر من تضاريس اليونان، كان بها سلسلتين من سلاسل الجبال ومساحات كبيرة من الاراضي، سلسلة جبال الالب الواقعة في شمال إيطاليا وكانت تفصل إيطاليا والبلاد التي تقع شمالها، وجبال الأبنين التي امتدت من شمال الى جنوب

إيطاليا، التي قسمت شبه جزيرة إيطاليا الى قسمين شرقي وغربي، لكن الاتصال كان شهلا بينهماعن طريق البحر والسواحل الشرقية والغربية([٧٥]).

والسبب الاخر في الاتجاه التوسعي لروما تمثل في الموقع الاستراتيجي لمدينة روما، فقد كانت تتوسط شبة الجزيرة الايطالية، مما مكنها ان تشترك في كل ما يحدث في ايطاليا. ونظرًا لتعرضها لهجمات متكررة من الغاليين والأتروريين والآيكويين والفولسكيين قامت روما بتكوين اتحاد مع القبائل اللاتينية المجاورة لها للدفاع عن نفسها، وعرف هذا بالعصبة اللاتينية التي تمت بمقتضي معاهدة كاسيوس ٤٩٣ق.م، وانتهت في ٣٣٨ق.م([٧٦]).

وبمقتضى هذه المعاهدة أصبحت روما وإقليم لاتيوم قوة موحدة تحت قيادة روما، وكانت هذه المعاهدة الخطوة الأولى والهامة نحو المشروع التوسعي لروما في إيطاليا، وقد نصت بنود هذه المعاهدة على الآتي:

١- حق المواطنة الرومانية أو Civitas للمدن اللاتينية.

٢- حق الزواج من الرومان Conubium وحق الأبناء في الميراث.

٣- حق التجارة والتعامل داخل روما Commercium

٤- والحقوق المدنية العامة Iura Publica كحق تولى الوظائف الشرفية Ius honorum، وحق الاقتراع Suffragium وحق التقاضي أمام المحاكم الرومانية في روما Legis actio([٧٧]).

التوسع داخل ايطاليا:

بعد أن وطدت روما أركان حكمها، بالقضاء على نظام الحكم الملكي وتأسيس نظام حكم جمهوري، يعتلي قمته اثنين من القناصل، شرعت روما في توسيع نطاقها الجغرافي، وبذلك تحولك روما من استراتيجيه الدفاع والتوطيد إلى استراتيجيه الهجوم والتوسع، وقد بدأت روما هذه الاستراتيجية بالتوسع داخل ايطاليا، ثم عرجت إلى التوسع خارج ايطاليا، لتكوين إمبراطورية تليق بتأسيسها الأسطوري المقدس على يد أبناء "مارس" (ريموس و رومولوس) إله الحرب عند الرومان.

([٧٥]) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق ص ١٨-١٩.

([٧٦]) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ١٩.

([٧٧]) محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص ٨٤-٨٥.

وقد كانت هناك مخاطر عديدة تهدد وجود روما في داخل شبة الجزيرة الايطالية، لعل أبرز هذه المخاطر تمثلت في الأتروسكيين وفي الغال والسمنيين، وقد استطاعت روما التغلب على هذه المخاطر واحدة تلو الأخرى، وفيما يلي سوف نعرض لحروب روما مع هذه القبائل والممالك.

الحرب مع الأتروسكيين:

وقد أثار طرد ملك روما الأتروسكى "تاركوينيوس سوبريوس" Tarquinius Superbus حفيظة الأتروسكيين، لذا أرادوا الانتقام من روما، وفى البداية تولى لواء حرب الأتروسكيين ضد روما الملك بورسينا Porsenna ملك كلوسيوم Clusium، الذي هزم من روما والعصبة اللاتينية عند أريكيا سنة ٥٠٥ق.م، وبعد ذلك دخلت روما في حرب طاحنة ضد مدينة فياى Veii الاتروسكية، استطاعت من خلالها مدينة فياي الاتروسكية الاستيلاء على مدينة فيدناي (Fidenae) التي كانت تسيطر على معبر على نهر التيبر على بعد ثماني كيلو مترات تقريبا الى الشمال الشرقي من روما([٧٨]).

حروب الحلف اللاتيني:

كان للهزيمة التي مني بها الرومان في اريكيا على يد الاتروسكيين انعكاسات خطيرة على علاقتهم بالعصبة اللاتينية، حيث طردت روما من العصبة اللاتينية بعد هذه الهزيمة، وازدات العلاقات بينها وبين العصبة توترًا، وصل الى حد الحرب، واهم معارك هذه الحرب معركة جرت رحاها عند بحيرة ريجولوس، يرجح تاريخ حدوثها بين سنة ٤٩٩ او ٤٩٦ق.م، وفيها انتصر الرومان على العصبة، ولكن لجأ الطرفان الى عمل تسوية، نظرًا لهجوم القبائل الجبلية الفقيرة على لاتيوم، وفي سنة ٤٩٣ق.م توصل الطرفان إلى عقد معاهدة كاسيوس (Feodus Cassium)، بمقتضاها كون حلف عسكري هجومي ودفاعي اسهموا في تكوين قواته واقتسام الاسلاب والغنائم بينهم على قدم المساواة. وكانت القيادة العسكرية للحلف بالتناوب بينهم، وقضت المعاهدة أيضًا بتبادل حقوق المواطنة الخاصة فيما يتعلق بحق الاتجار وحق الزواج بين روما والعصبة اللاتينية([٧٩]).

دخل الحلف اللاتيني في حروب متعددة ضد جيرانه من القبائل الجيلية- السابيني والايكوي والفولسكي- وضد مدينة فياي الاتروسكية. دأب السابيني على شن غارات متكررة على

---

(٧٨) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ٩٠ ، ١١٢.

(٧٩) ابراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الاول، ص ص ١١٢-١١٤.

روما، التي استطاعت كسب ود زعيمهم اتيوس كلاوسوس (Attius Clausus)، ومنحته مساحة من الارض استقر فيها وعشيرته، ومنحتهم حقوق المواطنة الروماني، وادمجت عشيرته في عداد طبقة البطارقة، فاتخذ اتيوس الاسم اللاتيني أبيوس كلاوديوس(Appius Claudius)، وبعد سنة ٤٦٠ق.م اصبحت غارات السابيني على روما ضعيفة لا تشكل لها أي خطورة تذكر. اما غارات الايكوي والفولسكي على روما، فكانت الاخطر والاطول امدًا، عند منتصف القرن الخامس قبل الميلاد استطاع الأيكوي السيطرة على قلب لاتيوم وأقاموا على جبل الجيدوس (Algidus) قلعة اتخذوها مركزًا لاغاراتهم، وفي ٤٣٠ق.م تمكنت العصبة من طردهم من القلعة، ثم طرد الفولسكي من الجزء الجنوبي الساحلي من سهل لاتيوم. كما ان الحلف خاض عند منتصف القرن الخامس قبل الميلاد حرب ضد مدينة فياي الاتروسكية، التي تقع على بعد عشرين كيلومتر شمال روما، وتم طرد فياي من مدينة فيدناي، وبعد عشر سنوات من حصار فياي ٤٠٥ق.م-٣٩٦ق.م تم تدمير فياي تمامًا([٨٠]).

الحرب مع الغال:

هاجرت مجموعة من القبائل التي تقطن بلاد الغال -فرنسا الحالية- الى شمال ايطاليا، وعرفت بالهجرة الغالية، تكونت من ثماني قبائل غالية، أهمهم قبيلة الانسوبريس (Insuberes)، والكنوماني (Cenomanii)، والبويي (Boii)، والسنونيس (Senones)، والغال هم أحد الفروع الكلتية، تميزوا بطول القامة وحسن الوجه، والشجاعة في القتال الى حد التهور، كانوا يقاتلون عراة إلا من تمائم وسلاسل ذهبية، ينقضون على اعدائهم ويقذفون في قلوبهم الرعب، إلا إنهم يفتقدون للنظام وطول النفس في القتال، ليس لديهم خبرة في حصار المدن، سيوفهم الطويلة ضعيفة عرضة للانثناء. أغاروا على إقليمي أتروريا ولاتيوم، للحصول على الغنائم وأراضي جديدة، بدأ غزوهم لأراضي الأتروسكيين في سنة ٤٠٠ق.م، وعندما وصلت غاراتهم إلى مدينة "كلوسيوم" الاترورية، بقيادة برينوس(Brennus) زعيم قبيلة السنونيس، فانها طلبت النجدة من روما، وعندما فشل حصارهم للمدينة، أرادوا الانتقام من روما لمساندته مدينة كلوسيوم، وفي ٣٩٠ق.م دارت معركة طاحنة بين الغال ورما على بعد أميال من روما على ضفاف نهر أليا(Allia)-احد روافد التيبر-، وهزم الرومان وحلفائهم اللاتين هزيمة ساحقة، واحتمى الرومان بقلعة الكابيتول، وحاصرها الغال قرابة سبعة شهور، ولإنقاذ روما من هذه الكارثة التي حاقت بها، قام مجلس الشيوخ بتعيين "كاميللوس" ديكتاتور للبلاد.

([٨٠]) ابراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ص ١١٤-١١٧.

وبعد غزو الغال لروما قاموا بفرض جزية سنوية ضخمة عليها، ثم انسحبوا الى الشمال عبر جبال الابنين، هذا العار الذي لحق بالرومان على يد الغال لم يمحى إلا بعد أن قام يوليوس قيصر بغزو الغال، وادي غزو الغال لروما لوقوعها في مشاكل اقتصادية وسياسية حتى النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد، لتوقف النشاط التوسعي لها، لكن بعد ذلك استعادت روما مرة اخرى نشاطها التوسعي العسكري الذي مكنها من السيطرة على شبة الجزيرة الايطالية([٨١]).

حرب روما مع الايكوي والفولسكي:

قام الحلفاء السابقين للرومان الايكوي والهرنيقي بشن الحرب على روما، إلا إنها استطاعت إخضاعهم لسيادتها في ٣٨٠ق.م، أما الفولسكي فقد استمروا في محاولة السيطرة على جنوب لاتيوم، مما استدعي من الرومان القيام بحملات متكررة ضد الفولسكي إلى أن تم ضم جزء كبير من أراضيهم إلى الرومان في ٣٥٨ق.م بعد هزيمتهم وهزيمة حلفائهم من المدن اللاتينة التى تمردت على روما، وإرغامهم جميعًا على أن يجددوا معاهدة كاسيوس معها، وقد تم تعمير أراضي الفولسكي بمستعمرين رومان وتكوين قبيلتين ريفيتين، وودخل الفولسكي في سنة ٣٣٨ق.م في تحالف مع الرومان بعد سقوط مدينتهم انتيوم([٨٢]).

روما وصراعها مع مدن الحلف اللاتيني:

نقض الهرنيقي والفولسكس تحالفهم مع روما، مما أدى إلى تشجيع مدن الحلف اللاتيني على التمرد ضد روما، إلا ان روما هزمتهم في ٣٥٨ق.م وارغمتهم على تجديد معاهدة كاسيوس، واصبح بمقتضى هذا التجديد الحق في قيادة القوات المتحالفة لروما فقط ولم يعد هناك تناوب في القيادة، ولذلك حدث في ٣٤٠ق.م أن تمردت مرة اخرى كل مدن الحلف اللاتيني ضد روما وتحالفوا مع مدن كمبانيا، وذلك بسبب عدم اعطاء الحلف اللاتيني جزء من أراضي الفولسكي التي استأثرت بها روما بمفردها، وعقد الرومان التحالف مع السمنيين مع جعل اللاتين يشعرون بمحاصرتهم من ناحية بالرومان ومن ناحية أخرى بحلفائهم السمنيين، وعقد الرومان التحالف مع قرطاجة ٣٤٨ ق.م بمقتضاه إلا تعتدي قرطاجة على شواطيء لاتيوم مقابل عدم اعتداء روما على منطقة نفوذ قرطاجة، مما يؤكد على أن روما اصبح لها النفوذ والسيدة على لاتيوم، لذا تمرد اللاتين حتى لا يقعوا تحت سيطرة روما، ودخلوا في حرب عرفت بحرب اللاتين الكبرى لثلاث سنوات ٣٤٠-٣٣٨ق.م انتهت بانتصار روما في معركة جبل ڤيزوڤيوس وسحق اللاتين، ونتيجة لذلك حلت العصبة اللاتينية وطبقت روما مبدأ فرق تسد بمعنى أنها عقدت

([٨١]) حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ٣٨.

([٨٢]) ابراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٢١.

معاهدة تحالف مع كل مدينة لاتينية على حده، وفقدت خمس مدن استقلالها، والباقي احتفظ بالاستقلال الذاتي مقابل تقديم مساعدات عسكرية لرومان، وفقدت المدن اللاتينية حقي الاتجار والتزاوج من بعضهم البعض، مع الاحتفاظ بهذه الحقوق بينهم وبين روما([٨٣]).

ضم إقليم كمبانيا:

تقع كمبانيا جنوب غرب شبة الجزيرة الايطالية في منطقة فسيحة، وابرز مدن هذا الاقليم مدينة كوماي، استطاعت في ٣٤٠ق.م روما عزل الكمبانيين عن اللاتين من خلال اقناع الكمبانيين بنقض تحالفهم مع اللاتين، وهذا شيء يحسب للدبلوماسية الروماني، وعقدت معهم معاهدة بمقتضاها اصبح للكمبانيين الحق في الزواج من روما والالتجار، واصبح من حق بعض مدن كمبانيا التمتع بحقوق المواطنة الروماني([٨٤]).

الحرب مع السمنيين:

السمنيين هم إحدى القبائل الجبلية التي استقرت فى مرتفعات الأبنيين Apennines الجنوبية وسيطرت على مساحة كبيرة من الأراضي تمتد من ساحل البحر الأدرياتى حتى خليج تارنتوم، وهم شعباً صعب المراس تميز بالقوة، استغلوا معرفتهم بالجبال ومسالكها، قواتهم الحربية تشكلت في مجموعات صغيرة manipuli، مسلحة على غرار نظام تسليح الرومان، فقد كانوا بحملون درع كبير مستطيل، ودرع لحماية الساق اليسرى، وسيف قصير، ورمح pilum، ولديهم كتائب كبيرة الحجم، وسلاح خيالة قوى.

وقد مني الرومان بهزيمة كبيرة أمام السمنيين في معركة وادي "شعاب كاوديوم" (Caudine Forks، Furculae Caudiinae) في سنة ٣٢١ق.م، وتم إرغام الجيش الروماني على التسليم، والسير تحت النير(*subjugum*)، وكلمة (*subjugum*) تعنى القهر والخضوع والاستعباد، مأخوذة من الكلمة اللاتينية sub بمعنى تحت، و jugum بمعنى الثور أو الحصان، والنير عبارة عن ثلاث حراب، تم تثبيت اثنتين منهما بشكل عمودي في الأرض والثالثة وضعت بشكل أفقي ربطت بين قمتي الحربتين الأخريين. مرت من تحته الجيوش المهزومة لإذلالها، فالعبور من تحت النير كان بمثابة شيء مخزٍ جداً للجنود المنهزمين، وإشارة إلى جبنهم وفقد شرفهم بدلاً من موتهم بشكل مشرف.

([٨٣]) ابراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ١٢٢-١٢٣، محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص ٨٧.

([٨٤]) محمود ابراهيم السعدني، المرجع السابق، ص ٨٩.

ونظرًا لهزيمة الجيش الروماني في معركة وادي " شعاب كاوديوم" فإنه طرأت تغيرات جذرية علي تنظيمات وتكتيكات الجيش الروماني أثناء الحروب السمنية (٣٤٣- ٢٩٠)، وبشكلٍ خاص خلال الحرب السمنية الثانية (٣٢٤- ٣٠٤)، ونلمس ذلك التغيير في إدخال إصلاحات كبيرة على تنظيم "الهوبليتاي" أو المشاة الثقيلة، فقد تخلت الجيش عن تشكيل "الفالانكس" أو "الفيلق" وأتبعت التشكيل الثلاثي–الذي سنشير إليه بعد قليل–، وقاموا أيضاً بإدخال إصلاح تكتيكي أصبحت فيه الوحدة الرئيسية للفرقة الروماني "المانيبولوس" (*Manipulus*)، وهي وحدة عسكرية ثانوية تتكون من ستون إلى مائة وعشرون جندي مشاة، بدلاً من "الكنتوريا" أو المئين (*Centuria*)، الذي لم يعد في هذا الوقت سوى بقايا تاريخية لتنظيم قديم كان متبعاً في تشكيل الجيش الروماني فيما سبق، وتبع ذلك تجريد نظام المئين من كل التكتيكات العسكرية الهامة التي كانت تتبع في نشر قوات الجيش فى ميدان المعركة وحل محلها السرية(٨٥). بالإضافة إلى الإصلاح الذي تم إدخاله إلى نظام الجندية بأن أصبح بقاء الجندي في الخدمة العسكرية مرتبطًا بانتهاء الحرب الثائرة وليس ببقاء قائده مثلما كان متبعا قبل ذلك(٨٦).

الحرب مع بيرهوس ٢٨١-٢٧٢م:

بسطت روما نفوذها على شبه الجزيرة الايطالية، وأصبحت تتطلع إلى التوسع في حوض البحر المتوسط، وسنحت لها الفرصة لذلك اثناء الحرب مع بيرهوس، وسبب هذه الحرب مطالبة أهل المدينة الإغريقية "تارنتوم" Tarentum في جنوب إيطاليا من "بيرهوس" ملك "إيبيروس" بالتدخل لمساعدتهم في حربهم ضد الرومان، وعلى الرغم من الحرب البيرهوسية الشرسة التي كانت اكثر ضراوة واطول امدًا من غيرها من الحروب التي شنت على الرومان، إلا ان "بيرهوس" فشل في كسر شوكة الرومان، حيث كانت انتصاراته على الرومان، انتصارات كارثية عليه اكثر من الرومان، حتى ان انتصاراته كانت مضربًا للمثل في العلوم العسكرية بـ "النصر البيرهوسي"، ذلك النصر الذي يسبب خسائر للمنتصر اكثر من خسائر المهزوم(٨٧).

وللبحث عن أسباب فشل بيرهوس ضد الرومان، اصبح الرومان قادرين على عمل دفاعاتهم الحصينة ضد بيرهوس والاستفادة من تراجعهم امام جيوشة. كما إنهم تعلموا كيف يقومون بعمل الخنادق للدفاع عن انفسهم، واختيار المواقع الأفضل لاقامة معسكرات جيوشهم

---

(٨٥) N. Fields, The Roman Army Of The Punic Wars 264-146 B.C, p. 16 .

(٨٦) نجيب إبراهيم طراد، المرجع السابق، ص ١٠٣ .

(٨٧) تأملات في تاريخ الرومان، ص ٤١.

وتنظمها تنظيمًا جيدًا، فضلًا عن ذلك، فإن الرومان لم يصبحوا في فزع عند رؤيتهم لفيلة بيرهوس، حيث اعتادوا على رؤيتها وعلى التعامل معها([٨٨]).

بعد الصراع بين الرومان وبيرهوس الملك الهللنستي لمدة ست سنوات النتهي في ٢٧٥ق.م، بانتصار وما على بيرهوس، واصبحت روما بموجب هذا الانتصار لأول مرة كقوة معترف بها في عالم البحر المتوسط، حيث اعترف بها الملك بطلميوس فيلادلفوس، وخطب ود روما بان قام بارسال سفارة الى روما ف ٢٧٣ق.م، وكان موقف روما من ذلك ان ردت بسفارة ارسلها السناتو الى مصر([٨٩]).

المبحث السابع: تطور روما السياسي والدستوري حتى أواسط القرن الثالث ق. م

أدت الفتوحات الروماني إلى اتساع مساحة إقليم الدولة الروماني وتكوين تحالف عسكري بين روما وحلفائها، وكان لزامًا على روما أن تقوم بتطوير نظمها السياسية والدستورية كي تتماشي مع هذه التطورات سواء على الصعيد السياسي أو الدستوري.

فعلى الصعيد السياسي عندما قام الرومان بإلغاء نظام الحكم الملكي في سنة ٥١٠ق.م، استبدلوا هذا النظام البائد الذي فقد شرعيته وشعبيته من قبل المواطنين الرومان، بنظام حكم جديد عرف بنظام الحكم الجمهوري، والمصطلح اللاتيني respublica، مشتقة منه كلمة Republic، التي تعني الجمهورية أو الكومنولث أو رابطة الشعوب، وبالمفهوم الإغريقي للديمقراطية فإن روما في العصر الجمهوري كانت جمهورية ديمقراطية، حكمت بواسطة الشعب في هذا الوقت.

وفي هذا النظام الجديد اسندت الوظائف والسلطات التي كان يتمتع بها الى عدد من الموظفين، عرفت وظائفهم بالوظائف العامة او الوظائف الشرفية، وسميت بهذا الاسم لإن الشخص الذي يتولى أحد هذه الوظائف لا يأخذ أجر مقابل توليه الوظيفة من الدولة.

وكان هناك ترتيب تسلسلي أو مسار لتولي الوظائف الشرفية العامة خلال العصر الجمهوري وأوائل العصر الامبراطورية، عرف بسلك الوظائف الشرفية (cursus honorum)، وهذا المسار صمم خصيصًا للرجال الذين ينتمون إلى طبقة السناتو، وكان هذا المسار خليطًا من وظائف عسكرية ووظائف سياسية ووظائف إدارية، وكان لزامًا على كل الأشخاص الطموحين سياسيًا أن يسيروا في مسار هذا السلك الوظيفي، ويبدء سلك الوظائف الشرفية عند الرومان بوظيفة الكوايستور ثم الإيديل ثم الكنسور ثم البرايتور ثم القنصل.

([٨٨]) تأملات في تاريخ الرومان، ص ٤١.

([٨٩]) لطفي عبدالوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٢٠.

الكوايستورية: أمين الخزانة العامة

تذكر الروايات التاريخية المختلفة أن لقب الكوايستور كان موجوداً في روما منذ العصر الملكي، حيث كان ملوك روما يقومون بتعيين موظفين يعرفون بلقب (Quaestores Parricidii)، كانت مهمتهم الأولى تتعلق بتنفيذ الاحكام القضائية على المجرمين المدانين بجرائم القتل في روما، أما عن وظيفة الكوايستورية المعنية بالشؤون المالية، فيرجع ظهورها إلى بداية العصر الجمهوري وكان توليها يتم من خلال التعيين، حيث كان كل قنصل من القناصل يقوم سنويًا بتعيين كوايستورا واحداً، ولكن منذ سنة ٤٤٧ق.م حدث تغيير جذري في طريقة تولي هذه الوظيفة، فقد اصبحت منذ هذا التاريخ بالانتخاب بواسطة جمعية القبائل. وحدث تطور أخر لهذه الوظيفة في سنة ٤٢١ق.م، حيث تم اضافة اثنين من العامة إلي وظيفة الكوايستورية، وبذلك أصبح عددهم اربعة كوايستور، وتم توزيع الاختصاصات المالية بينهم، حيث تولى اثنان منهم مهمة الاشراف على الخزانة العامة في روما، واثنان كانت اختصاصاتهم المالية تتعلق بالاشراف على الشئون المالية للجيش وهؤلاء كانوا مرافقين دائمًا للجيوش الروماني اينما حلت أو ارتحلت. ومع التوسع الذي شهدته روما خلال القرن الثالث قبل الميلاد، فقد تضاعف عدد الكوايستور في عام ٢٦٧ق.م لكي يصل إلي ثمانية كوايستور، الذين انتشروا في مناطق ومدن مختلفة في ايطاليا للاشراف على الشئون المالية للبلاد(٩٠).

الإيديلية: مسئول الأمن والتجارة

كلمة إيديل Aedilis، والجمع Aediles، مشتقة من الكلمة اللاتينية aedes بمعنى معبد، وهو موظف في روما كان مسؤولًا بشكل أساسي بمعبدة وبعبادة "كيريس" Ceres. وفي البداية كان عدد الإيديل أثنين ينتمون إلى طبقة العامة، انشأت هذه الوظيفة في نفس الوقت الذي انشأت فيه التربونية العامة في سنة ٤٩٤ق.م، وهؤلاء كانت لهم قدسية مثل قدسية ترابنة العامة.

مرت هذه الوظيفة بمرحلتين الأولي: منذ سنة ٤٩٤ق.م، حيث كانت اختصاصات الايديل مقتصرة على الإشراف على حفظ المحفوظات وأمانة الأرشيف وبذلك لا يعدو الايديل أن يكون أكثر من مساعدًا لنقيب العامة "تريبونوس"، وكان عددهم اثنين فقط. أما في المرحلة الثانية: منذ سنة ٣٦٧ ق.م ، اصبح عددهم أربعة، وكان يتم انتخابهم سنويًا عن طريق الجمعية القبلية، اثنان من العامة عرفوا بإيديل العامة (Aediles Plebis)، وهذه الايديلية كانت حكراً على العامة فقط، وأثنان منهم من الأشراف عرفوا بإيديل الأشراف (Aediles Curules)، وهي

---

(٩٠) محمد السيد عبدالغني، المرجع السابق، ص١٧١– ١٧٠.

أسمى مكانة من إيديلية العامة، اشترك فيها العامة والأشراف بالتناوب، وكان إيديل الأشراف فقط (*aedilis curulis*) يعتبر من ضمن الوظائف الشرفية (*magister curulis*) وتوسعت اختصاصاتها عما كانت عليه من قبل، لتشمل اختصاصات الإيديل كل ما يتعلق برعاية شؤون المدينة، سواء صيانة شوارع المدينة وتطبيق قواعد المرور فيها، أو تدبير إمدادات المدينة بالمياه والحبوب، والإشراف على المعاملات التجارية في الأسواق، ومراقبة الموازين والمكاييل، وحفظ الأمن والنظام خاصة في الحفلات والأعياد([٩١]).

الكنسورية: الرقيب

يرجع انشاء هذه الوظيفة الى سنة ٤٤٣ق.م، ويعتبر الكنسور أو الرقيب من كبار الموظفين الرومان في سلك الوظائف الشرفية، ولكن ليس لدية سلطة الامبريوم العسكري (Imperium)، مثل القنصل أو البرايتور، كان يتم انتخاب اثنين من الرقباء لمدة ثمانية عشر شهرًا، وبشكل عام كان القناصل السابقين–حرصوا على تولي هذه الوظيفة بعد القنصلية– والرقباء يتم تعيينهم كل أربعة أعوام، ثم بعد ذلك كل خمسة اعوام. وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه المدة كانت تختلف من وقت إلى أخر. وكان الرقباء يرتدون العباءة الأرجوانية.

وقد غلب في البداية الطابع الطبقي على هذه الوظيفة، فمنذ نشأة هذه الوظيفة–٤٤٣ق.م كان يشغلها في معظم الاحيان اشخاص ينتمون إلى طبقة البطارقة، ولكن في سنة ٣٣٩ق.م صدرت قوانين (Leges Publiliae) التي قضت بان يكون احد الرقباء من طبقة العامة، واول رقيب من العامة تم تعيينه في سنة ٣٥١ق.م، وذلك وفقًا للقائمة التي وضعها "كرام" (Cram)، للرقباء منذ نشأة الوظيفة إلي سنة ٢٢ق.م، ومهام الرقباء كانت تشمل على إجراء الإحصاء، وعمل التضحية التطهيرية (Lustrum)، وهو طقس من طقوس الطهارة او التطهير– ولم يكن هناك إحصاء أو طقس تطهيري في الفترة مابين سنة ٦٩ الى ٢٨ق.م–، ويرى "وايزمان" (Wiseman)، أن المجموعات المحافظة من الرقباء المحافظين كانت تمنع تسجيل المزيد من الإيطاليين في جمعية المئينات، وكانوا يقومون بمراجعة سجلات القبائل، ومراجعة عضوية السناتو والفرسان، واستبعاد الاعضاء غير المناسبين، وتقديم القوانين والتشريعات الخاصة بالإحصاء، والاشراف على انشطة المباني العامة، وبذلك فإن مصطلح رقيب يعني "الخبير– المُقيم"، كانت مهامة الاساسية تتعلق بتسجيل المواطنين لتأدية الواجب العسكري–ذلك كان قبل إصلاح "ماريوس" العسكري–، ولدفع الضرائب(Tributum)– الغيت في سنة ١٦٨ق.م، وكان

([٩١]) محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص ٨٠.

مسؤولًا عن تأجير الاملاك العامة للدولة، مثل المناجم، وعمل التعاقدات الخاصة بالأعمال العامة وتحصيل إيرادات الدولة، وقبل عصر "سوللا" كان الرقباء مسؤولين عن قبول الأعضاء في مجلس السناتو، والتسجيل في الاحصاء ضروريًا لكي يتمتع المواطن بحق التصويت في جمعية المئينات، والتسجيل كان يتضم تقديم إقرار يقسم فيه مقدمه على صحة البيانات الوارده فيه عن عمره واسرته املاكه.

وتوسعت مهام الرقيب حتى انها شملت مسؤوليته عن ضبط اخلاق طريقة حياة الرومان، وكانت من مسؤوليتاته تصنيف اعضاء السناتو ومئينات الفرسان إلى أشخاص حسن السمعة وأشخاص سيء السمعة، وكان سلطانهم القضائي يشمل على الأماكن العامة والخاصة، وكانت إيرادات الشعب الروماني كاملة تخضع لحكمه، والسبب في إنشاء هذه الوظيفة أن الإحصاء لم يتم اجراءه لعدة سنوات ولا يمكن تاجيله، والقناصل لم يكن لديهم وقت كافي للقيام بهذا الواجب، بسبب الحروب الكثيرة التي كانت محيطة بالرومان في هذا الوقت.

البرايتورية: كبار القضاة

نظرًا للتطورات التي طرأت على روما وتوسع حدودها عما كانت عليه من قبل، فإن العديد من التعديلات قد ادخلت على السلطة التنفيذية في البلاد، ومن هذه التعديلات انشاء منصب جديد هو منصب البرايتور أو كبير القضاة، وقد حدث ذلك في سنة ٣٦٧ق.م، وذلك للقيام بأعباء شؤون العدالة والقضاء في روما والتخفيف عن كاهل القناصل من هذه المهمة، فقد كانت تقع على كاهل القناصل اعباء كثيرة منها ما يتعلق بالحرب ومنها ما يتعلق بالقضاء، ونظرًا لتعدد جبهات القتال التي كانت تشترك فيها روما، وبالتالي غياب القناصل عن المدينة وتعطل شئون القضاء ومصالح الناس، فقد تم استحداث هذه الوظيفة، ولقد تمتع البرايتور بسلطة الامبريوم العسكري أو سلطة القيادة العسكرية العليا، التي كان له الحق بمقتضاها القيام بكل مهام القناصل إن لزم الأمر، سواء قيادة الجيوش في الحرب أو القيام بدعوة الجمعيات الشعبية في روما للإنعقاد، وكان من حقه اصدار قرارات عليا مالم يعترض عليه أحد من القناصل، ولا شك انه في حالة غياب القنصلين عن روما كان البرايتور يحل محلهم. والبرايتورية كغيرها من الوظائف العليا غلب عليها الطابع الطبقي، فبالرغم من السماح للعامة بالترشح لهذا المنصب بمقتضى قوانين "سكستيوس و ليكينيوس"، إلا إنه ظل حكرًا على الارستقراطيين حتى سنة ٣٣٧ق.م، حيث تولي احد الاشخاص الذين ينتمون إلى طبقة العامة وظيفة البرايتورية لأول منذ ظهورها([٩٢]).

([٩٢]) محمد السيد عبدالغني، المرجع السابق، ص ١٥٥-١٥٦.

القنصلية:

في النظام الجمهوري تم إسناد السلطة العسكرية أو سلطة الإمبريوم Imperium السابقة التي كان يتمتع بها الملك في العصر الملكي إلى أثنين من الموظفين القضائيين، كان يتم انتخابهم سنويًا، وعرفوا باسم القناصل، ومدة شغلهم للمنصب سنة واحدة فقط، وحظي هؤلاء الأشخاص بمكانة مرموقة، و كان ينظر إليهم دائمًا على إنهم الحكام الرئيسيين للجمهورية الروماني، لدرجة أن سنة حكمهم كانت تسمى على اسمائهم معًا لاغراض تاريخية؛ حيث كانت تؤرخ الأحداث بفترة شغلهم للمنصب، فإذا وقعت حادثة من الاحداث كانت تسجل بانها حدثت في سنة تولي القنصلين، وبذلك تم الاحتفاظ بسجلات دقيقة من أسماء القناصل، تلك القوائم التي شكلت فيما بعد أساسًا للتاريخ للجمهورية الروماني.

وبشكل أساسي كان الأشخاص الذين يتولون منصب القنصلية من بين القادة العسكريين الذين يقودون الجيوش الروماني في ميادين القتال، وذلك يشير بشكل واضح إلى الإيديولوجية العسكرية التي كانت مسيطرة على مخيلة الرومان في هذا الوقت، فالأولوية الأولي لهذه الايديولوجية: هي الدفاع عن الجمهورية الروماني الوليدة وحمايتها من الأعداء، أما الأولوية الثانية للايديولوجية العسكرية: فقد تمثلت الهجوم على جيرانها من اجل التوسع الاقليمي على حساب المدن الاخرى في شبة الجزيرة الايطالية، وكانت المهمة الاساسية للقناصل هي قيادة الجيوس الروماني في ميادين القتال، ونظرًا لاتساع نطاق الحروب التي خاضتها روما في بداية العصر الجمهوري، ازدادت اعبائهم العسكرية، وفي حالة خروج القنصلين معا الى ميدان واحد للقتال، كانت القيادة العليا – الامبريوم– تقسم بينهم يوما بعد يوم بالتعاقب، وكانت لهم مهمة دينية محددة تمثلت في استطلاعهم لرغبات الالهة (Auspicia) لمعرفة رضائها من سخطها قبل الإقدام على عمل عام([٩٣]).

وكانت آلية تولي القناصل لمنصب القنصلية تتمثل في آلية الانتخاب، حيث كان يتم انتخابهم بواسطة جمعية المئينات، هذه الجمعية التي كانت بمثابة الجيش الروماني منظمًا في مؤسسة انتخابية–جمعية المئينات–، كانت مهمتها انتخاب كبار الموظفين الرومان، واخذ القرارات الهامة المتعلقة بالحرب والسلام.

([٩٣]) ابراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٥٣.

وكانت وظيفة القنصلية تقوم على مبدأ الزمالة (*collegiality*) في تولي الوظيفة العامة، فقد كان يتم انتخاب اثنين من القناصل سنويًا، كل منهم ند متكافئ للأخر، لهما نفس السلطة في هذا المنصب، وقد كان مبدأ الزمالة أو السلطة المشتركة ، قاعدة أساسية في معظم الوظائف العامة الروماني، وكانت أهمية هذه القاعدة تكمن في ضمان عدم إساءة استخدام السلطة من قبل أي من الزملاء، حيث كان يمكن لأحد الزملاء ان يعترض على سلوك زميلة الأخر في الوظيفة. وايضًا كانت هذه الوظيفة تقوم على مبدأ المسائلة (*responsibility*)، أي المسؤولية القانونية عن الأفعال الوظيفية.

والانتماء الطبقي للقناصل منذ ظهور وظيفة القنصلية كان انتماءً أرستقراطيًا، فقد سيطر الأرستقراطيون على هذا المنصب المهيب، بل كان حكرًا على بعض الأسر الأرستقراطية بعينها، ولذلك فإن هذا المنصب كان أحد الأسباب الرئيسه للصراع الطبقي المحتدم في هذا الوقت بين الأرستقراطيين والعامة، حيث كان العامة يناضلون بشراسة من أجل أن يكون لهم حظ في تولي وظيفة القنصلية، وفي سنة ٣٦٧ق.م صدر قانون يقضي بأن يكون أحد القناصل من العامة، ولذلك فإننا نجد أول قنصل ينتمي إلى طبقة العامة يتولي وظيفة القنصلية في سنة ٣٦٦ق.م، أي بعد مرور أكثر من قرن ونصف على نشأة وظيفة القنصلية.

وعلى ذلك يمكننا القول، بأن الرومان عندما استبدلوا النظام الجمهوري بدلًا من النظام الملكي، ولم يلغوا السلطة العليا أو الامبريوم التي كان يتمتع بها الملوك في العصر السابق، بل إنهم وضعوا لها ضوابط في العصر الجمهوري، للحيلولة دون الاستبداد في استخدامها، وذلك من خلال ثلاث وسائل هي: مبدأ الزمالة في ممارسة السلطة على قدم المساواة (Par Potestas) بين القنصلين، ومبدأ تولي منصب القنصلية لمدة عام واحد، ومبدأ حق الأعتراض(Intercessio)([٩٤]).

الديكتاتورية:

بعد أن انتزعت السلطة التنفيذية العليا أو الامبريوم من يد الملك الذي ممسكًا بها في العصر الملكي، وضعت وفي يد اثنين من القناصل، لتمكينهم من انجاز المهام الموكلة إليهم بجدارة واقتدار، وقد اخذ الرومان احتياطاتهم الكافية، التي تحول دون إساءة استخدامها أو الاستبداد والطغيان، إلا أن بعض الظروف الخطيرة أو الإستثنائية التي كانت تمر بها روما، أجبرتها على التخلي عن نظام القنصلية، واستبدالها بوظيفة استثنائية هي وظيفة الديكتاتورية، أو

([٩٤]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ص ١٥١-١٥٢، ١٥٤.

استبدالها بوظيفة الترابنة العسكريين ذوي السلطة القنصلية، وذلك لفترة مؤقتة استمرت لمدة سبع وسبعون عامًا.

وعلى الرغم من مزايا القنصلية أو الزمالة القنصلية، إلا انه في بعض الأوقات الخطيرة أو الطوارئ التي كانت تمر بها الجمهورية الرومانية، كانت تقتضي التخلي عن هذا النظام واللجوء إلى نظام أخر أكثر قوة وإحكاما على مقاليد الأمور، هذا النظام عرف بنظام الديكتاتورية، الذي كان يعد ابتكاراً قانونيًا رومانيًا، والديكتاتور هو حاكم مؤقت بسلطات استثنائية" *magistratus extraordinarius*) ، التي استمدها من تمتعهم بسلطة الامبريوم العظمى (*imperium magnum*)، كانت له سلطات مطلقة تخول له القيام بمهامه، وهذه السلطة تختلف تمامًا عن السلطة العادية التي كانت لدى الموظفين العاديين (magistratus ordinarius).

وكلمة ديكتاتور (Dictator) كلمة لاتينية الاصل، تعني حرفيًا " يملي إرادته على الآخرين، مأخوذة من الفعل Dicto– are، بمعني يملي، المأخوذة اصلًا من الفعل Dic–ere، بمعني يقول او يأمر، ويختلف معني كلمة الديكتاتورية في عصر الرومان عن وقتها الحالي، ففي الوقت الحالي تعني الاستيلاء على السلطة الشرعية بطرق غير دستورية والاستبداد والبطش والتنكيل بالمعارضين والغاء الديمقراطية، اما في عصر الرومان كانت الديكتاتورية خاصة في الفترة المبكرة من العصر الجمهوري ديكتاتورية دستورية غير مستبدة وجدت من اجل الصالح العام([٩٥]).

وكان يتم تعيين الديكتاتور من خلال قرار سيناتوري (*senatus consultum*) يسمح للقناصل بتعيين ديكتاتور، وكان يتم التصديق على تعيينه بواسطة الجمعية الشعبية (Comitia Curiata) ، وقد كانت وظيفة الديكتاتورية وظيفة دائمة في بعض المدن اللاتينية في إيطاليا، ولكن في روما كانت وظيفة مؤقتة تم اللجوء اليها فقط في اوقات الاخطار العسكرية التي تكون محدقة بروما، وفي وقت لاحق تم اللجوء إليها أيضاً في وقت الأزمات الداخلية. وعلى الرغم من ان مدة وظيفة الديكتاتورية كانت لمدة ستة أشهر فقط، إلا انه درجت العادة على ان الديكتاتور كان يتخلى عن وظيفته وسلطاته بمجرد انتهاء الأزمة. وكانت شارة الديكتاتور أربع وعشرين بلطة (*fasces*) وأربع وعشرين حارسًا (Lictores)، وذلك للاشارة إلى حق الديكتاتور في اصدار أحكام الاعدام ضد أي شخص داخل أسوار مدينة روما، أي ما يعادل شارات القنصلين

([٩٥]) محمد السيد عبدالغني، المرجع السابق، ١٥٠–١٥١.

معًا، وكانت أول المهام التي يضلع بها الديكتاتور بعد تولي منصبة، هي تعيين مساعد له وهو قائد الفرسان.

والفاسكيز (Fasces) هي مجموعة من العصى مربوطة حول بلطة (axis) في هيئة حزمة حطب، كان يحملها المرافقين أو "الليكتوريس" للملك في العصر الملكي، حيث كانوا يتقدمون موكبه، وهي إشارة إلى السلطة المطلقة التي كان يتمتع بها الملك، ومع زوال الحكم الملكي وتأسيس نظام الحكم الجمهوري فإنها أصبحت من شارات كبار الموظفين ذوي السلطة القضائية مثل القناصل والديكتاتور، والعصا كانت ترمز لحق الحاكم في جلد العصاة والخارجين عن القانون، بينما كانت البلطة ترمز إلى حق الحاكم في إنزال عقوبة الاعدام بالمجرمين([٩٦]).

ففي حالات الطواري العسكرية قضت الضرورة توحيد القيادة العسكرية في يد شخص واحد هو الديكتاتور بدلًا من توزيعها بين أثنين من القناصل. وفي هذه الحالة كان يتم تعيين ديكتاتور على الفور، وقد تم إنشاء هذه الوظيفة في سنة ٥٠١ق.م، ومنذ ذلك الوقت كانت هذه الوظيفة من وقت إلى أخر في الاستخدام بشكل دوري حتى الحروب البونيقية، وفي فترة شغله للوظيفة كان الديكتاتور يتولى القيادة العسكرية العليا للجيوش، ويدعى "قائد جيش الشعب" أو "قائد أو حاكم الشعب" Magister Populi، ولأنه قائد الجيش كان يقوم بتعيين قائد لسلاح الفرسان(Magister Equitum). وهذا المنصب كان دستوريًا بشكل كامل، وينبغي عدم الخلط بينه وبين الديكتاتوريات التي كانت سائدة في وقت متأخر من الجمهورية من وقت سوللا إلى قيصر، تلك الديكتاتوريات التي كانت بمثابة تقنيين للسلطة الإستبدادية التي حصلوا عليها من خلال القوة العسكرية.

وكان الرومان يتحرون الدقة في اختيار الديكتاتور، لإن سلطاته المطلقة من الممكن أن تتحول إلي مفسدة مطلقة ضد الشعب، فقد كانوا يختارون الشخص المناسب لهذه الوظيفة بدقة متناهية، وتم اختيارهم من الكفاءات والخبرات العازفين عن الأضواء والشهرة، المعروفين بالتجرد والانحياز للمصلحة العليا للوطن، الذين كانوا يرون في منصب الديكتاتورية تكليفًا لا تشريفًا. فضلًا عن ذلك فقد وضع الرومان ضوابط قانونية لمنع استبداد الديكتاتور، حيث تم تحديد مدة المنصب لمدة ستة شهور فقط لا يجوز بأي حال من الأحوال تجاوزها، وعدم إعفاءه من الملاحقة القضائية بعد تركة للمنصب، إذا ثبتت أنه ارتكب تجاوزات أثناء شغله لمنصب الديكتاتور([٩٧]).

([٩٦]) محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص ٧٢.

([٩٧]) محمد السيد عبدالغني، المرجع السابق،١٥٢-١٥٤.

الترابنة العسكريين ذوي السلطة القنصلية:

نظرًا لتعدد جبهات القتال التي كانت تقاتل عليها روما في وقت واحد خلال القرن الخامس قبل الميلاد، وعدم كفاية اثنين من القناصل للقيام بالكثير من المهام في أماكن متختلفة، فان الرومان استغنوا عن النظام القنصلي وعينوا بدلاً منه هيئة أو مجموعة من الترابنة العسكريين ذوي السلطة القنصلية في الفترة من ٤٤٤ق.م الى ٣٦٧ق.م. (٩٨).

وأصل الترابنة العسكريين يرجع إلى العصر الملكي، حيث كان في هذا العصر فرقة رومانية للدفاع عن المدينة، وبلغ عددها ثلاثة آلاف جندي من سلاح المشاة Pedites، وثلاثمائة فارس من سلاح الخيالة(أو المشاة الراكبون) Celeres(٩٩)(شكل رقم١)، تم تجنيدهم من المواطنين الأغنياء القادرين علي تزويد أنفسهم بالخيول والأسلحة على نفقاتهم الخاصة(١٠٠)، من قبائل روما القديمة الثلاث(١٠١)،- وهى: قبيلة رامنيس Ramnes، وقبيلة تيتيس Tities، وقبيلة لوكريس luceres -(١٠٢)، أسهمت كل قبيلة بعدد ألف جندي

---

(٩٨) A. Boddington, The Original Nature of the Consular Tribunate , Historia 8, (1959), P. 356.

(٩٩) ورد ذكرهم في بعض المراجع باسم خيالة رومولوس، وبقى أسمهم مقترناً باسم الترابنة، بمعنى ضباط سلاح الخيالة Tribuni celerum حتى بداية العصر الإمبراطوري، ولكن بعد ذلك لم يصبح بمعنى قادة عسكريين، ولكن بمعنى كهنة ثانويين. أنظر :

A. Momigliano, “The Origins of Rome”, in: CAH, Vol. VII, Part 2, Chapter 3, Cambridge, 1989, PP. 104-105 .

(١٠٠) M. T. Boatwright, &others, The Romans From Village To Empire, Oxford, 2004, P. 43.

(١٠١) تعرف هذه القبائل باسم القبائل الرومولوسية نسبة إلى مؤسسها(رومولوس)، استمرت هذه القبائل لوقت طويل لها تأثير على تنظيم الجيش الروماني، وكذلك وحداتها الصغيرة التي عرفت باسم الكور- كل قبيلة كانت تنقسم إلي ثلاثين كوره -، حتى بعد أن تم تكوين المئينات Centuriae بواسطة الملك سرفيوس توليوس. للمزيد عن ذلك أنظر:

A. Momigliano, “The Origins of Rome, P. 105 .

(١٠٢) M. L. Glay, & Others., a History of Rome, Oxford .2001 .P.28. ; P. Southern, Op. Cit., P. 87 .

من المشاة يقودهم ضابط برتبة تربيون عسكري Tribunus militum، ومائة فارس من الخيالة Celeres يقودهم ضابط برتبة تربيون خيالة Tribunus celerum(١٠٣).

وعندما الغي النظام القبلي في تجنيد الجيش الروماني، واصبح التجنيد يعتمد على أساس فئات المواطنين الموزعين في فئات مختلفة في جمعية المئينات حسب الثروة، فإن التربيون العسكري لم يبقي قائدًا لقوات قبيلته، بل اصبح ضابطًا في الجيش الروماني(١٠٤).

والخدمة في رتبة تربيون عسكري في الجيش الروماني كانت تكسب الشخص الذي يتولاها شرف كبير، ومن شواهد ودلائل المكانة الرفيعة لهذه الرتبة العسكرية أن القناصل السابقين بعد انتهاء فترة وظيفتهم القنصلية خدموا كترابنة عسكريين فى الجيش الروماني(١٠٥)، بالإضافة إلى ذلك أن أفراد هذه الوظيفة العسكرية منذ وقت باكر جداً كانوا مميزين عن باقى الضباط الآخرين والجنود في الجيش الروماني؛ خاصة في الملابس التى كانوا يلبسونها وفى أجورهم وجرايتهم(١٠٦).

وقد اختلف عدد هذه الهيئات وعدد أعضائها من فترة إلى أخرى، ففي الفترة من ٤٤٤ق.م الى ٤٢٧ق.م تم انتخاب ست هيئات من الترابنة العسكريين ذوي السلطة القنصلية، كل منها تكون من ثلاثة ترابنة فقط، وفي الفترة من ٣٢٦ق.م إلى ٤٠٦ق.م، تم انتخاب عشر هيئات من الترابنة، كانت ثلاث منها ثلاثية العدد، وسبع منها رباعية، اما في الفترة ما بين عامي ٤٠٥ق.م و ٣٧٦ق.م، فقد تم انتخاب ثلاث وثلاثون هيئة من الترابنة سداسية العدد، ولكن عدد أعضائها غير معلوم(١٠٧).

وهؤلاء الترابنة العسكريين ذوى السلطة القنصلية تم انتخابهم بواسطة "جمعية المئينات" Comitia Centuriata (١٠٨)، وكانوا يتمتعون بسلطة الامبريوم التي كان يتمتع

---

(١٠٣) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص، ١٢٨.

(١٠٤) ابراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٧٠.

(١٠٥) N. Sekunda, & A. Mcbride, Republican Roman Army 200 –104 B.C, London, 1996, P.13 .

(١٠٦) Liv.VII, 34 .

(١٠٧) ابراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٦٩-١٧٠.

(١٠٨) G. Sumner, The Legion and the Centuriate Organization . JRS 60 (1970), P.71 .

بها القناصل، وأستمر هذا المنصب يدير شئون الدولة العليا إلى أن تم إلغاؤه فى سنة ٣٦٧ ق.م بموجب قانون "ليكينيا سكستيا" lex Licinia Sextia ، وعودة النظام القنصلي مرة أخرى(١٠٩) بانتخاب قنصلين سنوياً لتولى السلطة العليا مدنية وعسكرية اعتبارا من العام التالي ٣٦٦(١١٠)، وعاد الترابنة العسكريين الى وضعهم السابق كضباط في الجيش الروماني(١١١).

ملك الطقوس المقدسة:

أما عن مهام الملك الدينية التي كان يمارسها في العصر الملكي، فقد تم إسنادها منذ بداية العصر الجمهوري إلى موظف عرف بلقب "ملك الطقوس المقدسة" Rex Sacrorum ، الذي تولى مهام وظيفته الدينية مدى الحياة.

التطور الدستوري في روما حتى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد

كان لزامًا على الرومان أن يعكفوا على إدخال تطورات دستورية تتلائم مع نتائج السياسة التوسعية التى انتهجتها روما، وتمثلت هذه التطورات الدستورية في الاتي:

التقسيم القبلي للمواطنين:

في تقسيم المواطنين الرومان الى قبائل اقليمية وفقًا لمسكنهم وزيادة عدد هذه القبائل، بسب زيادة عدد المواطنين الرومان، ففي العصر الملكي كانت عددها ثلاث قبائل فقط، حتى وصل عددها سنة ٢٦٥ق.م الى خمس وثلاثون قبيلة، منها أربع قبائل حضرية وهي قبائل روما وواحد وثلاثون قبيلة ريفية(١١٢).

المواطنة الرومانية:

كانت المواطنة هي الوضع القانوني المميز الذي يتمتع به المواطن، وهي التي تميزه عن غيره من غير المواطنين، وتكفل له حقوق وتلزمه بواجبات تجاه الدولة، وتقوم السلطة الحاكمة في الدولة على تنظيم العلاقة بين الحقوق والواجبات الخاصة بالمواطنين(١١٣). والمواطنة أيضًا

---

(١٠٩) H. I. Flower, Op. Cit., P. 18.

(١١٠) إبراهيم رزق أيوب، المرجع السابق، ص ٦٧.

(١١١) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٧٠.

(١١٢) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٥٨.

(١١٣) S. S. Awasthy and N . D. Arora, *Political Theory and Political Thought*, (New Delhim 2007) , 251-252.

هي جوهر العقد الاجتماعي بين الفرد والدولة، الذي بموجبه يتمتع المواطن بحقوق وحريات قانونية، وسياسية، واقتصادية، وثقافية مقابل أن يؤدي التزامات عديدةً من بينها أداء الضرائب المقررة، والخضوع للقانون، واحترام حقوق وحريات الأفراد، والمواطنة هي التي تكفل المساواة بين جميع أفراد المجتمع أمام الدولة، فلا تمييز على أساس الجنس أو اللون أو العرق أو النوع أو المكانة الاجتماعية"(١١٤).

أما المواطنة (*Civitas*) في العصور القديمة، وبالتحديد في روما، يقصد بها واحدة من أهم الامتيازات التي ميزت بين المواطنين وغير المواطنين، والمواطنة جنبًا إلى جنب الحرية (*Status Libertatis*)، كانت شرطًا أساسياً لحصول الشخص على حقوقهِ سواءً العامة أو الخاصة(١١٥)، وعلى الصعيد السياسيّ كفلت المواطنة للمواطنين الرومان الحق في الاقتراع والخدمة العسكرية، أما على الصعيد الاجتماعيّ فإنها أعطت المواطنين الرومان الحق في الزواج من مواطنين رومان(١١٦).

واستنادًا إلى معيار المواطنة، فإن القانون الروماني، قسم الأشخاص الطبيعيين إلى قسمين أساسيين هما: المواطنون (*Cives*) وغير المواطنين، وغير المواطنين كانوا إما لاتينيين أو أجانب(١١٧).

واللاتينيون هم سكان إقليم لاتيوم في غرب وسط إيطاليا(١١٨)، وكانوا يعيشوُن في مدن تمتعت بوحدة سياسية مستقلة ضمن الإمبراطورية الروماني، ولكل منها قانونها الخاص، فهم فريق وسط بين المواطنين الرومان والأجانب من حيث التمتع بالحقوق السياسية والمدنية، وقد تلاشت فئة اللاتين تدريجياً خلال العصر الجمهوري بمنحهم المواطنة الروماني، وأصبحوا مواطنين رومان(١١٩).

---

(١١٤) سامح فوزي، المواطنة وحقوق الإنسان، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، (القاهرة، ٢٠٠٧)، ٧ .

(١١٥) Berger, *TAPhA*. 43, S.V. Civitas. Romana, 389 .

(١١٦) P. Zoch, *Ancient Rome: An Introductory History*, (USA, 1998), 91.

(١١٧) السيد أحمد علي بدوي، المركز القانوني للأجانب، دراسة مقارنة بين القانون الروماني والشريعة الإسلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الحقوق، جامعة المنصورة، ٢٠٠٦، ٣٣.

(١١٨) K., Kathleen, *Ancient Rome: From Romulus and Remus to the Visigoth Invasion*. Britannica Guide to Ancient Civilizations, (New York, 2011), 207.

(١١٩) محمد عبد الرحيم محمد، مركز الأجانب في مصر دراسة تاريخية مقارنة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الحقوق، جامعة القاهرة، ٢٠٠٩، ١٦٨-١٦٩.

أما مصطلح الأجانب (*Peregrinus*) فكان يشمل الغرباء ومواطني أية مدينة أخرى غير مدينة روما، وهؤلاء الأجانب ازدراد عددهم كثيرًا بعد غزو روما للعديد من الدول، حيث أصبحت الأغلبية العظمى من سكان روما من الأجانب(١٢٠). وقد نظر إليهم الرومان على أنهم أعداء (*Hostes*)، لذلك لم يعترفوا لهم بأية حقوق، واستحلوا قتلهم والاستيلاء على أموالهم واسترقاقهم(١٢١)، ويجب عليهم دفع ضريبة الرأس، والتي كان الإعفاء منها شيئًا استثنائياً(١٢٢).

أما المواطن الروماني (*Civis Romanus*)، فهو الشخص الذي يتمتع بحقوق المواطنة الروماني بوصفه جزء أساسي من الشعب الروماني(*Populus Romanus*)، سواء بالمولد أو بأي طريقة أخرى-مثل الحصول على المواطنة عن طريق الاكتساب-، وعلى هذا النحو، فإن المواطن الروماني يتمتع بحقوق عامة وحقوق خاصة مرتبطة بالمواطنة الروماني، ماعدا مجموعة صغيرة من المواطنين-لم يولدوا كمواطنين-، حرموا من الحقوق العامة، سواء لأنهم من المعتقين أو من الأجانب وهؤلاء عُرفوا خلال العصر الجمهوري بمسمى مواطنين دون حق الاقتراع(*Cives Sine Suffragio*)(١٢٣).

وقد كان الشرط الأساسي للحصول على المواطنة الروماني (*Civitas Romana*) بالوراثة، أن يكون الطفل من زواجٍ شرعيٍ بين مواطن ومواطنة من المواطنين الرومان- وأحيانًا كان المولود يأخذ الوضع القانوني لأبيه، حتى إذا كان والده فقط من المواطنين-، أما الطفل إذا كان المولود من زواج غير شرعي بين أب أجنبي وأم رومانية، فإنَّه لا يحصل على المواطنة، ويحصل على الوضع القانوني للأجانب(١٢٤). وبالنسبة للشروط الأخرى المكملة للشرط الأساسي للحصول على المواطنة فهي: الذكورة والبلوغ، المولد الحر، واجتياز عملية الإحصاء، والأصل الجغرافي، والأسرة، والثروة، واستقامة الخلق(١٢٥).

ونظرًا لانعدام الشخصية القانونية للأجنبي وافتقاده إلى صفة المواطنة الروماني(١٢٦)، لم يعترف الرومان بأي حقوق للأجانب، ورفضوا منح المواطنة الروماني لرعايا هذه الدول(١٢٧)،

---

(١٢٠) Berger, *TAPhA*. 43, S.V. Peregrinus, 626.

(١٢١) محمد عبد الرحيم محمد، مركز الأجانب في مصر دراسة تاريخية مقارنة، ٢١٣.

(١٢٢) C. Fischer-bovet, 'Ethnic Identity and Status: Comparing Ptolemaic and Early Roman Egypt', in Ziche, H. (ed), Identity and Identification in Antiquity, Cambridge Scholars Press(in Press), 15 .

(١٢٣) Berger, *TAPhA*. 43, S.V. Civis Romanus.,389.

(١٢٤) Berger, *TAPhA*. 43, S.V. Civitas. Romana., 389.

(١٢٥) Aldrete, *Daily life in the Roman city: Rome, Pompeii and Ostia*, 43.

(١٢٦) ويقصد بالشخصية القانونية للفرد أهليته لاكتساب الحقوق وتحمل الالتزامات. انظر:

لحماية حقوق وامتيازات المواطنة الروماني، وللسبب نفسه ظل الرومان لمئات السنين يرفضون منح حق المواطنة الروماني لسكان إيطاليا، واكتفوا بإعطائهم الحقوق اللاتينية فقط (*Ius Latinum*)، مما أدى إلى اندلاع الحروب الأهلية (٩٠-٨٨ق.م) والتي أدت في النهاية إلى إجبار روما على إعطاء حق المواطنة الروماني لسكان إيطاليا(١٢٨).

وتمثلت أبرز معالم المواطنة الروماني (*Civitas Romana*) عند اكتمالها في عدد من الحقوق القانونية، منها: الحق في تأدية الخدمة العسكرية، والحق في الاشتغال بالتجارة، والحق في الإعفاء من دفع الضرائب المباشرة، والحق في استئناف حكم الإعدام (*Ius Provocationis*) الصادر ضد المواطن الروماني أمام جمعية المئينات (*Comitia Centuriata*)، حق الاقتراع في الجمعيات الروماني (*Ius Suffragiorum*)، وحق الترشح للوظائف العامة أو المدنية (*Ius Honorum*)، وحق إبرام العقود القانونية وحيازة الملكية كمواطن روماني (*Ius Commerci*)، وحق الزواج الكامل الأهلية (*Ius Coniubii*)(١٢٩).

وقد تطورت فكرة المواطنة عند الرومان وتم تعميمها على نطاق واسع، حتى أصبحت تشمل عددًا كبيرًا من سكان الإمبراطورية الروماني، فبعد أن كان عدد المواطنين الرومان يقدر بما لا يتجاوز عشرين ألف مواطن روماني خلال القرن الخامس قبل الميلاد(١٣٠)، فإن عددهم ازداد خلال العصر الإمبراطوري المبكر ووصل إلى ستة ملايين مواطن روماني من العدد الإجمالي لسكان الإمبراطورية الذي كان يبلغ حوالي خمسين مليون نسمة(١٣١). وذلك بعد أن حصل عدد كبير من سكان ولايات الإمبراطورية على المواطنة الروماني عن طريق الخدمة العسكرية، ومع صدور الدستور "الأنتونينياني" في سنة ٢١٢م، فإن جميع السكان الأحرار في

السيد أحمد علي بدوي، المركز القانوني للأجانب، ٣٢-٣٣.

(١٢٧) Aldrete, *Daily life in the Roman City: Rome, Pompeii and Ostia*, 43.; A. N. Sherwin-White, *The Roman citizenship*, (Oxford, 1996), 63

(١٢٨) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ١١٤.

(١٢٩) P. A. Zoch, *Ancient Rome: An Introductory History*, (U.S.A. 1998), 91; G. Mousourakis, *A legal history of Rome*, (New York, 2007), 5.

(١٣٠) كارل كريست، الرومان مقدمة لتاريخهم وحضارتهم، ترجمة السيد جاد، (الإسكندرية، ٢٠٠٧)، ٣.

(١٣١) Aldrete, *Daily life in the Roman city: Rome, Pompeii and Ostia*, 43; وانظر أيضًا: كارل كريست، الرومان مقدمة لتاريخهم وحضارتهم، ٣.

الإمبراطورية الروماني أصبحوا مواطنين رومان بعد أن حصلوا على المواطنة الروماني بمقتضى هذا الدستور(١٣٢).

دستور سرفيوس:

يربط البعض إدخال تكتيك الهوبليت وتشكيل الفالانكس في الجيش الروماني بالتنظيم السرفيوسي(١٣٣)؛ الذي يُعد تنظيم اجتماعي سياسي عسكري، يقوم علي أربعة عناصر رئيسية هي: القبائل Tribi، والإحصاء Census، والفئات Classis(١٣٤)، والمئينات Centuriae(١٣٥)، الهدف منه إنشاء جيش يتكون من المواطنين الرومان، وذلك من خلال تحديد عدد المواطنين المؤهلين لتأدية الخدمة العسكرية، بالإضافة إلى جمع الضرائب منهم(١٣٦).

وخلال هذا الدستور قسم الإقليم الروماني إلى قبائل(١٣٧)، ووزع الشعب إلى فئاتClassis، ومنها إلي مئينات Centuries(١٣٨)، وتم تحديد الواجبات الحقوق على أساس الثروة(١٣٩).

---

(١٣٢) C. Nicolet, *The World of the Citizen in Republican Rome*, Translated by P.S.Falla, (Univ of California Press, 1980),17.

(١٣٣) الملك "سرفيوس توليوس" Servius Tullius هو سادس ملوك روما حكم في الفترة من ٥٧٨ – ٥٣٤، وقام بإنشاء دستور لروما عرف باسمة : للمزيد عن الدستور السرفيوسي. راجع:

Liv. I, 42– 43 ; Dion. Hal. Ant. Rom. IV, 13 – 23 .

(١٣٤) ويقصد أيضاً بهذا المصطلح الأسطول الروماني. راجع:

A. Berger, Encyclopedic Dictionary of Roman Law, TAPhS, 43 (1953), p. 390 .

(١٣٥) H. Last, The Servian Reforms, JRS 35 (1945), pp. 35 f .

(١٣٦) H. Last, op. cit., p. 38 .

(١٣٧) تعد القبائل أقدم هذه العناصر، وقد قام الملك سرفيوس بإنشاء أربعة قبائل حضرية وستة عشر قبيلة ريفية، وبذلك أصبحت حقوق المواطنة الروماني تعتمد على الإقامة أو محل السكن في القبيلة وليس العضوية في العشيرة أو الكوره curia كما كان في السابق. وخدمت هذه القبائل كمناطق تسجيل المواطنين الرومان، وتقدير أملاكهم، وتجنيدهم في الجيش الروماني– الجيش الروماني Exercitus–، وجمع الضرائب. راجع:

J. Rich, op. cit., pp. 16 –17 .

(١٣٨) Liv. I, 42, 5 .

الإحصاء :

عُرفت روما نظام الإحصاء Census منذ العصر الملكي، وهذا الإحصاء تم لأغراض تحصيل الضرائب والتعبئة العامة للخدمة العسكرية. وفيه تم تسجيل المواطنين فى قبائل ثم وزعوا إلى خمس فئات مختلفة من المشاة حسب مقدار ثروة كلاً منهم، وكل فئة قسمت إلى مئينات من شيوخ Seniores- ممن تجاوز عمرهم الخامسة والأربعين- وشباب Iuniores- ممن كان عمرهم بين سن السادسة عشر والخامسة والأربعين-. بينما مئينات الخيالة تكونت من الذين يملكون ثروة أكبر من إحصاء ثروة الفئة الأولى للمشاة. أما الذين كانوا يمتلكون ثروة صغيرة لا تؤهلهم للانضمام إلى الفئة الخامسة سجلوا فى مئين واحد وتم إحصائهم بالرأس Capite Censi وعرفوا باسم البروليتاريا Proletarii . وخلال بداية العصر الجمهوري قام القناصل بإجراء الإحصاء بأنفسهم، ولكن منذ سنة ٤٤٣ أستحدث منصب الكنسور Censor للقيام بهذه المهمة.(١٤٠)

التي قدرت من خلال نظام لإحصاء Census، الذي شمل كل المواطنين الرومان الذكور البالغين(١٤١).

وهذا الإحصاء كان أساسا لإنشاء جمعية جديدة عرفت باسم جمعية المئينات(الجمعية المئوية) Comitia Centuriata، التي يُدلى فيها المواطنين الرومان بأصواتهم في الشئون السياسية للدولة، سواء إعلان الحرب، أم قبول معاهدة سلام، أم انتخاب كبار الموظفين القضائيين- كالقناصل و االبرايتورس، والرقيب. كانت تجتمع في ساحة الإله مارس Campus Martius خارج الحدود الأصلية لمدينة روما Pomoerium(١٤٢).

---

(١٣٩) Liv. I, 44 ; Dion. Hal. Ant. Rom. IV, 16- 21.

(١٤٠) محمد السيد محمد عبد الغنى، المرجع السابق، ص ص ١٥١ -١٥٢. وأيضاً:

L. D. Ligt, Roman Manpower and Recruitment During the Middle Republic, In: A Companion To The Roman Army, Part 2 , Chapter Seven, Oxford, 2007, p. 125 ;L. Keppie, The Making of the Roman Army: From Republic to Empire",Third Edition, London, 2005, p. 59 ; A. Berger, op. cit., p. 380.

(١٤١) N. Fields, The Roman Army of The Punic Wars 264-146 B.C, Battle Orders, Oxford, 2007, p. 5 .

(١٤٢) P. Southern, op. cit., p. 88 .

وتدل الشواهد الأثرية على وجود كاتب مكلف بتسجيل أسماء وملكية المواطنين الرومان (شكل رقم٣)، وهناك مثال أخر لذلك علي مذبح القائد "دوميتيوس أهينوباربوس" Domitius Ahenobarbus(١٤٣)، حيث يقوم أحد المواطنين بتسجيل أسماء المواطنين الرومان فى ألواح خاصة بذلك، وهذا الكاتب نفسه قام أيضاً بعد ذلك بتسجيل أسماء المواطنين الرومان فى الفرق الروماني بعد تجنيدهم(١٤٤).

كانت جمعية المئينات Comitia Centuriata تنعقد عقب أطلاق النفير(البوق)، وأثناء انعقادها رُفعت رايات بيضاء على منطقتي أركس Arx، وجانيكولوم Janiculum ، تلك الرايات كانت تنذر بقرب خطر الأعداء، وخلال هذا الاجتماع كانت الجمعية تمثل جيش Exercitus أو فئات Classis من المواطنين الرومان قاموا معاً بالتصويت والقتال في وحدات تعرف باسم المئينات، وكانت تأخذ فيها قرارات الحرب والسلام. للمزيد راجع:

محمد السيد محمد عبد الغنى: المرجع السابق، ص ١٨٧، ١٨٨.

وراجع أيضاً:

N. Fields, The Roman Army of The Punic Wars 264-146 B.C, pp. 5- 6.

(١٤٣) "دوميتيوس أهينوباربوس" اسم عائلة رومانية من العامة تنتمي إلى عشيرة دوميتيا Domitia ، أعضاؤها حققوا الكثير من الانتصارات العسكرية فى عصري الجمهورية والإمبراطورية، وقد كان أول انتصار لأحد أعضاء هذه العائلة فى موقعة بحيرة ريجولوس Lacus Regillus فى سنة ٤٩٤ على اللاتين، وتروى الأساطير أن ذلك تم بمساعدة الإلهين التوأمين "كاستور" Castor و "بولكس" Pollux، وضمت هذه العائلة عدداً من السياسيين والقادة العسكريين بنفس اسم "دوميتيوس أهينوباربوس" على مر العصرين الجمهوري والامبراطورى، والذي قام ببناء المذبح- وهو يصور إحصاء عسكرى وتقديم قرابين للإله مارس- هو "جنايوس دوميتيوس أهينوباربوس" Gnaeus Domitius Ahenobarbus الذي كان قنصلاً فى سنة ١٢٢، ورقيباً فى سنة ١١٥ ، وقام بإنشاء طريق دوميتيا Via Domitia سنة ١١٨، وهو مؤسس مستوطنة مارتيوس Narbo Martius أول مستوطنة فى بلاد الغال. راجع:

M. Bunson, Encyclopedia of The Roman Empire, New York, 2002, p. 182 ; http://en.wikipedia.org/wiki/Gnaeus_Domitius_Ahenobarbus_%28consul_122_BC%29#cite_note-8.

وراجع أيضاً: إبراهيم نصحي: تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ٩٠ .

(١٤٤) N. Fields, The Roman Army of The Punic Wars 264-146 B.C, p. 4

وفى سياق حديثه عن نظام الإحصاء Census ذكر "ليفيوس"(١٤٥) أن الملك "سرفيوس توليوس" قسم المواطنين الرومان الذين إحصاء ثروتهم ١١,٠٠٠ آس فأكثر إلى خمس فئات من سلاح المشاة على النحو التالي(١٤٦): الفئة الأولىPrima Classis تكونت من المواطنين الذين تزيد ثرواتهم عن ١٠٠,٠٠٠ آس، وضمت ٨٠ مئينا Centuriae، نصفهم من الشيوخ Seniorum لحراسة المدينة والدفاع عنها، والنصف الآخر من الشباب Iuniorum للقتال فى الجيش الروماني، وكانت أسلحتهم هي: الخوذة Galea، والدرع المستدير Clipeum (١٤٧)، ودرع الساق Ocreae، والصديرية Lorica، وكلها صنعت من البرونز، أما أسلحتهم الهجومية فكانت هي: الحربة Hasta ، والسيف Gladius، وقد تم إضافة مئينين إلى هذه الفئة من الفنيين Fabrum، خدموا بدون أسلحة، وأوكلت إليهم مهمة تصميم أدوات الحصار(١٤٨).

والفئة الثانية Secunda Classis تكونت من المواطنين الذين تراوحت ثرواتهم بين ٧٥,٠٠٠ – ١٠٠,٠٠٠ آس، وضمت ٢٠ مئيناً، نصفهم من الشيوخ، والنصف الآخر من الشباب، تسلحوا بالدرع المستطيل Scutum بدلاً من الدرع الدائري Clipeo، وباقي أسلحة الفئة الأولي. والفئة الثالثة Tertiae Classis تكونت من المواطنين الذين ثرواتهم أكثر من ٥٠,٠٠٠ آس، وضمت ٢٠ مئيناً من الشيوخ والشباب مناصفة، ولا يوجد أي اختلاف فى أسلحتهم عن الفئة السابقة، اللهم إلا عدم استخدامهم لدرع الساق Ocreae. والفئة الرابعة Quarta Classis تكونت من المواطنين الذين ثرواتهم أكثر من ٢٥,٠٠٠ آس، وضمت ٢٠

---

(١٤٥) لا تختلف رواية "ليفيوس" عن رواية "ديونيسيوس" فيما يتعلق بدستور "سرفيوس إلا أن "ديونيسيوس" قسم المواطنين إلى ستة فئات Classes من المشاة. حيث إنه جعل من المواطنين الذين ثرواتهم لا تصل للحد الأدنى من إحصاء الفئة الخامسة كفئة سادسة. راجع:

Dion. Hal. Ant. Rom.IV, 18, 2.

(١٤٦) D. J. Gargola, "Aulus Gellius and the Property Qualifications of the Proletarii and The Capite Censi", CPh 84 (1989), p. 231 .

(١٤٧) هذا الدرع هو نفسه الدرع الإغريقي الدائري Hoplon، و مصطلح Clipeus هو المصطلح اللاتيني له. راجع:

P. Southern, op. cit., p. 88 .

(١٤٨) Liv. I, 43, 1 – 3 .

مئيناً، مناصفة بين الشيوخ والشباب، ولم يحملوا شيئا إلا حربة Hasta ورمحاً Verutum(١٤٩).

والفئة الخامسة Quinta Classis تكونت من المواطنين الذين ثرواتهم أكثر من ١١,٠٠٠ آس، وضمت ٣٠ مئينا من الشيوخ والشباب مناصفة، حملوا المقاليعLapidesque ، والأحجار Missiles، أضيف إليهم مئينان من نافخي البوق والعازفين Accensi Cornicines Tubicinesque (١٥٠)، أما المواطنون الذين إحصاء ثروتهم أقل من إحصاء الفئة الخامسة كونوا مئيناً Centuria واحداً، وعرفوا باسم Capite Censi– أي المعدودين بالرأس–، وتم إعفائهم من تأدية الخدمة العسكرية Immunis Militia(١٥١).

أما بالنسبة لسلاح الخيالة فإن الملك "سرفيوس" قام بتسجيل اثني عشر مئينا من الرجال البارزين في الدولة، بالإضافة إلى ذلك كون ستة مئينات أخرى، ومن أجل شراء الخيول خصص عشرة آلاف آس asses من خزانة الدولة، ولرعاية هذه الخيول فأن النساء الغير متزوجات، دفعن ألفين آس as سنوياً. وبذلك فإن كل هذه الأعباء تم نقلها من علي كاهل الفقراء إلي الأغنياء(١٥٢).

والجيش الروماني في عصر الملك "سرفيوس" تكونت من مئينات شباب الفئة الأولي فقط، أي تكونت من أربعين مئينا من المشاة الهوبليت المسلحين بالدرع الكاملة –أربعة آلاف جندي – قاتلوا في تشكيل الفالانكس، أما الفئات الأخرى من الثانية إلى الخامسة لم تشارك في

---

(١٤٩) Liv. I, 43, 4 – 6 ; L. keppie, op. cit., pp. 5 – 6 .

(١٥٠) Liv. I. 43. 7– 8 ; N. Fields, The Roman Army Of The Punic Wars 264–146 B.C, p.5 ; P. Southern, op. cit., p. 88 .

(١٥١) المواطنون الذين إحصاء Census ثرواتهم أقل من الحد الأدنى للفئة الخامسة – ١١,٠٠٠ آس Asses عرفوا باسم Capite Censi وذلك إشارة إلى إن عملية إحصائهم تمت بالرأس وليس علي أساس الثروة كالفئات الخمس السابقة، وكانوا معفين من أداء الخدمة العسكرية في الجيش الروماني وبالرغم من ذلك فإنهم كان يتم استدعائهم في أوقات الطوارئ للخدمة، وفى الغالب كان يتم تنظيمهم في مجموعات منفصلة عن بعضها البعض بعيداً عن الفرق الروماني. راجع:

P. Southern, op. cit., p. 88 .

(١٥٢) Liv. I, 43, 9–10 ; N. Sekunda, &others, op. cit., p. 17 .

هذه الجيش(١٥٣). والحقوق والواجبات العسكرية في جمعية الميئنات–الجيش المدني– اختلفت وفقاً للفئة التي ينتمي إليها المواطن أو بمعنى آخر للثروة التي يمتلكها(١٥٤).

المبحث الثامن: توسع روما في حوض البحر المتوسط

إن الحروب بين روما وقرطاجة، أو ما تعرف بالحروب البونيقية، تُعد الحروب الأكثر خطورة على روما من بين الحروب التي خاضتها ضد أعدائها في أي وقتٍ سابق، بل هي الأخطر من بين الحروب التي خاضتها روما طيلة تاريخها، وقبل الخوض في الحديث عن هذه الحروب، يجدر بنا الإشارة إلى أن القوات العسكرية الرومانية المكونة من مختلف أنحاء إيطاليا التي حاربت قرطاجة، كانت بالنسبة لها هي الفرصة الأولى للقتال خارج إيطاليا، ومع نهاية هذه الحروب كانت الجيوش الرومانية قد قاتلت في ميادين متعددة شملت صقلية وافريقيا وفرنسا واسبانيا وبلاد اليونان، وسيطرت على أصقاع متعددة من عالم البحر المتوسط سواء في صقلية أو سردينيا أو اسبانيا أو افريقيا.

الحرب البونيقية الأولى ٢٦٤–٢٤٢ق.م

كان الميدان الرئيس للحرب البونيقية الأولى في صقلية، وذلك بغض النظر عن غارة أو غارتين قامت بهم القوات القرطاجية لفترة وجيزة على الساحل الإيطالي، أو الغزو الروماني الكارثي لإفريقيا سنة ٢٥٦/٢٥٥ق.م.

وتأتي هذه الحرب بعد عقود طويلة من العلاقات الودية التي كانت سارية بين روما وقرطاجة، ففي عام ٢٧٩/٨ق.م، تم اخر حلقة من سلسلة المعاهدات بين البلدين، التي تعود بداياتها الى السنة الاولى من الجمهورية الروماني، حيث كانت اولى حلقات هذه المعاهدات قد تمت في سنة ٥٠٩ق.م، وبمقتضاها الزمت قرطاجة بتقديم المساعدات البحرية–الأسطول– لروما إذا لزم الأمر الى ذلك ضد الملك بيرهوس (Pyrrhus) ملك ابيروس.

وهنا يتبادر إلى الذهن تساؤل مشروع في طرحه وله وجاهته وأهميته، ما هو الدافع الحقيقي أو غير المياشر الذي دفع روما إلي هذه المغامرة الخطيرة في حرب خارج حدودها، فضلًا عن ان روما في هذا الوقت كانت لا تمتلك أدوات هذه الحرب–الأسطول؟

---

(١٥٣) N. Sekunda. &Others, op. cit., p. 15 .

(١٥٤) M. L.Glay &Others, A History of Rome, Oxford, 2001, pp. 28-29.

بعد الرجوع إلى "بوليبيوس"، المؤرخ اليوناني الأصل الذي كان معاصرًا لهذه الحرب، وأحد الرجال المقربين في هذا الوقت من كبار القادة العسكريين الرومان، نجد ضالتنا المنشودة في الإجابة على هذا التساؤل، يرى "بوليبيوس" انه على الرغم من العلاقات الودية التي سادها الوئام والانسجام بين روما وقرطاجة، إلا ان روما كان عندها تخوف من قرطاجة، التي قد يدفعها طموحها الى السيطرة على صقلية من أجل ضمها إلي ممتلكاتها الخاصة، خاصة أن قرطاجة في هذا الوقت كانت لديها إمكانية وقدرة تكفل لها السيطرة على صقلية، وإذا حدث ذلك، فإنه سيكون بمثابة تهديد خطير لأمن وسلامة إيطاليا من قبل القرطاجيين، الذين سيجعلون من صقلية جسرًا للعبور منه إلى إيطاليا، ومن ثم الاستيلاء على إيطاليا بعد ذلك.

ويضيف "بوليبيوس" إلى هذا الهاجس الذي أرق مضاجع السياسيين الرومان هدفًا أخر، تمثل في الجشع الشعبي من أجل الحصول على الغنائم من هذه الحرب، هذا الدافع الذي يرى فيه بوليبيوس أحد الدوافع التي لعبت دورًا محوريًا في إندلاع هذه الحرب.

وإذا كان المؤرخون المحدثون يتفقون تمامًا مع "بوليبيوس" في أن الجشع كان دافعًا للحرب بين روما وقرطاجة، إلا أنهم يروا ان الجشع كان دافعًا أساسيًا لهذه الحرب، ويعللون وجهة نظرهم بأن الفكر الروماني في هذا الوقت كان مسيطر عليه الجشع، خاصةً القادة العسكريون الذين كانوا يتحينون الفرصه لخوض غمار الحرب، طمعًا في تحقيق المجد العسكري الذي سيعود عليهم من وراء اشتعال هذه الحرب، وبالتالي فتح ابواب المستقبل السياسي و الوظائف العامة الشرفية لهم على مصراعيها.

ويؤكد لازينبي (Lazenby)، أن قرطاجة لم تشكل أي تهديد لروما في هذا الوقت من الناحية الاستراتيجية، وأن الطمع كان جزءًا من الدوافع التي دفعت روما إلى الحرب، إلا أن ذلك لا ينكر ان روما كانت في شك وتخوف منذ سنوات عديدة من قرطاجة، منذ ان ظهر الاسطول القرطاجي في تارنتوم في سنة ٢٧٢ق.م، فانهم كانوا يعرفون أن القرطاجيين قد سيطروا على قلعة "ميسينا"، ولكنهم لم يتدخلوا لفترة وجيزة، حيث كانوا يرون ان سيراكوز هي العدو الاضعف بالنسبة لهم، لكنهم كانوا يعتقدون ان هناك مخاطرة كبيرة في الحرب ضد قرطاجة.

وفي حقيقة الأمر، فان الجانبين قد اخطاؤا على الارجح في تقدير رد فعل بعضهم البعض، فمن ناحية كان القرطاجيون وحليفهم هيرون، يعتقدون أن روما لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تتدخل بشكل جدي في صقلية وان تكون في مواجهة القوة البحرية القرطاجية، ومن ناحية أخرى، فإن الرومان بغطرستهم المعتادة كانوا يعتقدون، أن القرطاجيون وهيرون سيتراجعون الى الوراء على الفور عندما يدركون قوة وخطورة روما عليهم. ومما لا شك فيه ان هذا الاعتقاد الروماني فيه جانب من الصحة، إذ أن سيراكوزا سرعان ماتراجعت عن الحرب ضد روما بعد ان

ادركت مدى القوة العسكرية الهائلة لروما. وقد تصاعدت وتيرة الحرب بشكل غير متوقع بين الجانبين بشكل يفوق كل التوقعات ، خاصة مع قرار قرطاجة بارسال قوات عسكرية الى صقلية في سنة ٢٦٢ق.م. وكان رد الفعل الروماني على ذلك، انهم اتخذوا قرارًا في نهاية ٢٦١ق.م ببناء اسطول، لكي تكون لديهم قوة بحرية تكافيء القوة البحرية القرطاجية، وبدأت الحرب بينهما على مدينة واحدة في جزيرة صقلية، الا انه سرعان ما شملت هذه الحرب الجزيرة باكملها، التي اتخذ منها الطرفين ميدانًا رئيسيًا للحرب بينهم.

وبذلك، فإن روما تورطت في حرب ضروس مع دولتين بحريتين في آن واحد هما قرطاجة وسيراكوز، وتكمن خطورة هذه الحرب في انها اول حرب تخوض روما غمارها خارج حدودها، وأن روما لم تكن في هذا الوقت تمتلك اسطول بحري يمكنها من القتال فيما وراء حدودها.

وكان السبب المباشر لإندلاع الحرب البونيقية الأولى بين روما وقرطاجة يرجع إلى مجموعة من المرتزقة الكمبانيين، الذين كانوا يدعون أنفسهم برجال "ماميرس"، نسبة إلى "مارس" إله الحرب عند الرومان، كان هؤلاء المرتزقة قد أستولوا في وقت سابق على "ميسينا" (Messina)، التي تقع على الطرف الشمالي الشرقي لجزيرة صقلية، وعندما تم تهديدهم من هيرون ملك سيراكوز بضرورة الانسحاب من المدينة، فان بعضهم طلب المساعدة من قرطاجة، وبعضهم طلب المساعدة من روما. وفي هذا الوقت فإن أقرب قيادة عسكرية قرطاجية كانت في جزر البليار، منها أرسلت قوات عسكرية أحتلت قلعة المدينة، أما بالنسبة للرومان أخذوا وقت في دراسة ومناقشة طلب المساعدة الذي تقدم به المرتزقة، وفي النهاية وافق الرومان على تقديم المساعدة، وتم تعيين أحد القناصل للقيام بهذه المهمة، وهو القنصل "أبيوس كلاوديوس كاوديكس" (Appius Claudius Caudex)، الذي عبر في سنة ٢٦٤ق.م إلى "ميسينا"، واستطاع المامرتيني طرد الحامية القرطاجية من المدينة، ولذلك فإن القرطاجيين ضربوا الحصار حول المدينة، وحصلوا على مساعدة الملك "هيرون" في حصارها، لكن كلادوديوس استطاع أن يسيطر على قلعة المدينة، وعلى الرغم من رغبة "كلاوديوس" في المفاوضات، إلا ان القرطاجيين وهيرون رفضوا المفاوضات، وبالتالي أدي ذلك إلى نشوب حالة من الحرب.

أنتهت الحرب البونيقية الأولى بهزيمة الأسطول القرطاجي، الذي فشل في توصيل الإمدادات والمؤن للجيش القرطاجي المحاصر في صقلية. وعلى أثر ذلك اضطرت قرطاجة إلى عقد معاهدة سلام مع الرومان، وبمقتضي شروط هذه المعاهدة أجبر القرطاجيين على دفع تعويض ضخم للرومان، فضلًا عن سحب قواتهم العسكرية من صقلية ومن الجزر الواقعة بين

صقلية وأفريقيا. وبعد ذلك بثلاث سنوات انتهزت روما تورط قرطاجة في حرب ضروس ضد جنودها المرتزقة، وقامت بالأستيلاء على سردينيا لتعويض خسائرها في الحرب البونيقية الأولى.

الحرب البونيقية الثانية(٢١٨-٢٠١ق.م)

لا تختلف أسباب الحرب البونيقية الثانية عن الأسباب التي أدت إلى الحرب البونيقية الأولى، وهذا التشابه في أسباب الحربين ليس من قبيل الصدفة، فقد كان القرطاجيون بعد نهاية الحرب البونيقية الأولى يتوسعون بشكل مستمر في أسبانيا، وكان الرومان على علم بذلك الأمر، وهناك بعض الأدلة والشواهد، التي تؤكد على علم الرومان بذلك، ففي سنة ٢٣١ق.م أرسل الرومان سفارة إلى أسبانيا للوقوف على مجريات الأمور في أسبانيا وما يقوم به القرطاجيون هناك، خاصةً لمعرفة تحركات القائد العام للقوات القرطاجية في أسبانيا "هاميلكار" (Hamilcar)، وفي سنة ٢٢٥ق.م أرسلت روما مبعوثين أخرين إلى صهرة-زوج ابنته- وخليفته "هاسدروبال" (Hasdrubal)، وذلك للإتفاق معه على عدم عبور نهر "الابرو" (Ebro) لأهداف عسكرية.

وفي هذا الوقت كان "هانيبال" في العقد الثالث من عمره، يجري في عروقه عنفوان الشباب، بالإضافة إلى الصرامة التي كان تميز بها في حياته، مما اكسبه ثقة رجالة فيه إلى أقصى درجة ، ودهائه العسكري جعله يدرك أن خير وسيلة للدفاع هي الهجوم على خصمه، وأن يباغته بالضربة القاصمة قبل أن يباغته الرومان، ولذلك فإن "هانيبال" قام باكتساح شمال أسبانيا واستولى على مدينة "ساجنتوم" حليفة روما، وقد طلبت هذه المدينة المساعدة من روما أكثر من مرة إلا أن روما تأخرت في تلبية طلب حليفتها، وكان سقوط "ساجنتوم" بمثابة ضربة مهينة لسمعة وكرامة روما العسكرية ونفوذها في أسبانيا([١٥٥]).

وبذلك يرجع السبب المباشر لإندلاع الحرب البونيقية الثانية إلى مدينة ساجنتوم التي تقع عند أسفل ساحل أسبانيا، فعند نهاية سنة ٢٢٠ق.م، أرسلت روما سفارة إلى هانيبال لتحذره من مهاجمة مدرينة ساجنتوم، إلا أن "هانيبال" قام بمهاجمتها في بداية سنة ٢١٩ق.م، وعلى اثر ذلك طلب الرومان من مجلس شيوخ قرطاجة ان يتنكروا من أعمال "هانيبال" وتسليمه للرومان، إلا أن مجلس شيوخ قرطاجة رفض مطالب الرومان.

---

(١٥٥) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ١٤٠-١٤١.

وكعادتها الدبلوماسية الروماني في الميل إلى الدراما، فان "ليفيوس" يشير إلى أن رئيس الوفد الروماني "كوينتوس فابيوس" قام بفتح عبائته toga، للقرطاجيين وقال لهم: " إنني أحمل لكم في هذا الشق السلام وفي ذلك الشق الحرب فاختاروا ما تطلبون"، فرد عليه القرطاجيون في صلفٍ وكبرياء بان يعطيهم ما يشاء لإنهم لا يعبأون، مما أدي إلي غضب فابيوس وقال لهم "حسناً، فإني أعطيكم شق الحرب" ورد عليه القرطاجيون عندئذ بانهم يقبلوا ذلك العرض ويتحملون تبعات هذا الاختيار([١٥٦]).

ويعتبر "بوليبيوس" أن ما حدث في "ساجنتوم" هو بداية للحرب البونيقية الثانية وليس سببًا من أسباب نشوبها، حيث يرى بوليبيوس ان اسباب الحرب البونيقية الثانية تكمن في ثلاثة أسباب، أولها غضب هاميلكار والد هانيبال وشعوره بالحسرة لان جيشه استطاع لسنوات عديدة ان يبقى في صقلية دون هزيمة حتى المراحل الاخيرة من الحرب البونيقية الاولى، وأن معاهدة السلام التي عقدتها قرطاجة مع روما كانت بسبب هزيمة الأسطول القرطاجي من الأسطول الروماني.

وثانيها: أن روما استولت بدون وجه حق وبشكل غير مبرر على سردينيا، مما أضاف غضبًا إلى غضب "هاميلكار" وغضب المواطنين القرطاجيين من ذلك الأمر الذي كان بمثابة السبب الأكبر لقيام الحرب البونيقية الثانية. وثالثها: كانت النجاحات القرطاجية في أسبانيا قد أعطت للقرطاجيين الثقة في أنفسهم في القدرة على الشروع في حرب اخرى ضد روما. ولكي يؤكد "بوليبيوس" وجهة نظره بان غضب "هاميلكار" كان أحد أسباب هذه الحرب، فانه روى القصة الشهيرة عن رحلة "هاميلكار" إلى أسبانيا، ورغبة "هانيبال" عندما كان طفلًا صغيرًا في هذا الوقت في الذهاب مع والده إلى اسبانيا، إلا ان "هاميلكار" قد جعل ذهاب هانيبال معه مرهونًا بشرط أن يقسم هانيبال بكراهيته للرومان، وقبل ذلك هانيبال وكان مسرورًا، وكان هذا القسم مهيباً، "فعند المذبح أمر هاميلكار ابنه هانيبال بان يضع يده على الأضحية وأن يقسم بانه لن يكون ابدًا صديقًا للرومان.

ويدعي "بوليبيوس" ان هذه القصة جاءت بشكل أساسي من هانيبال نفسه، وذلك الامر لا يجب ان يدفعنا بشكل جدي الي أن نتصور ان هذه الحرب كانت حرب انتقامية، ولكن حتى اذا صحت هذه القصة، فانها لا تثبت نظرية الانتقام عند هانيبال، فليس من الضروري أن طفل يستطيع ان ينقل وعودًا صبيانية الى حياة الراشد، كما أن رد فعل هانيبال على هزيمته فيما

([١٥٦]) سيد أحمد علي الناصري، المرجع نفسه، ١٤٢.

بعد،عندما اصر على ضرورة ان قرطاجة تعقد سلام مع روما، فان هذا لا يشير باي شكل من الاشكال بان هانيبال كان متعصبًا تسيطر على جوارحه نزعة انتقامية ضد روما. وأيضًا افعاله في السنة السابقة لهجومه على ساجنتوم لا توحي بان هذه الافعال كانت جزءًا من خطة لمهاجمة روما. في سنة ٢٢٠ق.م قاد هانيبال حملة الى الشمال الغربي في أودية دورور وتاجوس، وعلى الرغم ان هذه الحملة كان الهدف منها تطهير أرض اسبانيا قبل غزو ايطاليا، إلا إنها كانت في الحقيقة استمرارًا لبناء الامبراطورية التي بدأ بنائها على يد والده وصهره في أسبانيا. ومع ذلك، فلا يمكننا ان ننكر انه كانت هناك كراهية شديدة من أسرة هانيبال بشكل خاص والشعب القرطاجي بشكل عام ضد روما.

واختلفت هذه الحرب تمامًا عن الحرب البونيقية الأولى، حيث ان قرطاجة استغلت سنوات السلم مع روما في بناء امبراطوريتها في اسبانيا، ومن هذه القاعدة أنطلق القائد القرطاجي هانيبال بغزوته المفاجأة لايطاليا عبر جبال الالب، وخلال اقل من سنتان استطاع هانيبال أن يدمر وينتصر على العديد من الجيوش الروماني واحد تلو الاخر ، سواء في تربيا (Trebia)، او عند بحيرة تراسميني (Trasimene)، او في كاناي (Cannae)، التي كانت بشكل خاص كارثة كبيرة للرومان، حيث الخسائر الفادحة التي تكبدتها روما في هذه المعركة، والتي كانت اكبر من أي خسارة عانى منها الرومان في أي وقت مضى. وكان من نتائج هذه الهزيمة ان كثير من مناطق جنوب ايطاليا قد انشقت على روما وانحازت الى صف قرطاجة، ومن بينهم اثنان من اكبر المدن بعد روما نفسها، مدينة كابوا (Capua)، ومدينة تارنتوم (Tarentum)، فضًا عن انشقاق اعظم مدينة في صقلية مدينة سيراكوز (Syracuse).

ومن الواضح إن ما قام به هانيبال من اعمال غزو في ايطاليا كان الهدف من وراءه تحرير اللاتين والايطاليين من هيمنة روما عليهم، وكسب ودهم، وجعلهم حلفاء له، يقفون بجانبة ضد روما. وعلى حد قول ليفيوس لم يكن هانيبال ينوي تدمير روما نفسها، حيث ان شروط المعاهدة التي عقدها هانيبال مع "فيليب الخامس" ملك مقدونيا، سمحت باستمرار وجود روما. والمرة الوحيدة التي اقترب فيها هانيبال من روما من أي وقت مضى كانت في سنة ٢١١ق.م ، حيث اجتذب الجيوش الروماني بعيدًا عن كابوا.

وفي الحقيقة لم يضع هانيبال في حسبانه الفترة التي سيقضيها في إيطاليا، ولكن بعد ان طالت هذه الفترة، كان يأمل أن تقوم روما بعرض المفاوضات عليه، وتشير المصادر إلى ان هانيبال كان يشعر بخيبة امل كبيرة من عناد الرومان وعدم عرضهم للمفاوضات عليه، ويبدو ان الجانب الروماني كان يرى ان حرب الاستنزاف التي تقودها روما ضد هانيبال ليست في صالحه، وبالتالي من الافضل الاستمرار في هذه الحرب ضد هانيبال، وكانت استراتيجية هانيبال

في الحرب البونيقية الثانية تقوم على استخدام موارد روما ضد الرومان، وهذه الاستراتيجية كانت نابعة من مشورة اسداها اليه "أنطيوخس الثالث"، وعلى اساس هذه الاستراتيجية كان هانيبال يتوقع ان تنهار روما على المدى القريب، وان الانتصار على روما سيكون بشكل تدريجي، وأن حلفائها سيكون امامهم خيار من اثنين، اما انهم سينضموا الى الجانب المنتصر، او انهم سيقفون على الحياد على اقل تقدير. واذا كان الحلفاء بعد معركة كاناي مباشرة لم يرفضوا الوقوف الى جانب روما، فانه في وقت متاخر في سنة ٢٠٩ق.م رفضت اثنى عشر دولة لاتينة من ثلاثين من الدول اللاتينية ان تزود روما بوحدات عسكرية للانضمام الى الجيش الروماني، وفي هذا الشأن يقول ليفيوس على وجه التحديد ان اللاتين كانوا يعتقدون" ان الرومان اذا راءوا ان جميع حلفائهم قد انصرفوا عن مساعدتهم، فانهم في الحال سوف يفكرون في إبرام السلام مع القرطاجيين. وفي النهاية ، فإن استراتيجية هانيبال في الحرب البونيقية الثانية باءت بالفشل الذريع، خاصةً أنه كان متفائلًا وعاقدًا امالًا عريضة على موقف الحلفاء من روما في هذه الحرب.

ولذلك فانه عمل على إرسال المبعوثين والسفراء إلى روما بعد معركة كاناي، وعلى الرغم من الاثار السلبية لهزيمة كاناي بالنسبة للرومان، الا انه كان لها اثار ايجابية تمثلت في أن الرومان تعلموا منها ان يكونوا اكثر حذرا وحيطة في مواجهة الاعداء، فعلى الرغم من أن هانيبال بقي في ايطاليا حتى شتاء ٢/٢٠٣ق.م، الا انه كان بشكل تدريجي محاصر عند اخمص قدم ايطاليا، ولم يستطع التقدم منها الى الوسط و الشمال. وعلي ذلك كان الامل الاخير لهانيبال في في اغاثته فيما هو فيه، يكمن في انتصار اخية هاسدروبال (Hasdrubal)، إلا أن هذا الامل سرعان ما تبخر بعد الهزيمة الساحقة التي مني بها شقيقة هاسدروبال في ميتاوروس (Metaurus)، في سنة ٢٠٧ق.م، وفي نفس الوقت استطاع الرومان أن يستعيدوا سيراطوزا في ٢١٢ق.م من قبضة القرطاجيين، اما عن الجبهة الأسبانية، فإن الجيوش الروماني في اسبانيا كانت تحت قيادة القائد الجديد "سكيبيو الافريقي"، الذي عمل على الرجوع إلى إيطاليا، وفي سنة ٢٠٦ق.م استطاع سكيبيو طرد القرطاجيين من إيطاليا، ثم غزو افريقيا في سنة ٢٠٤ق.م، ثم الانتصار على هانيبال في زاما سنة ٢٠٢ق.م في معركة زاما (zama).

الحرب البونيقية الثالثة ١٥١-١٤٦.م

قامت هذه الحرب بسبب رغبة القرطاجيين في الانتقام من الرومان بعد هزيمتهم في زاما الكبرى، حيث عمل القرطاجيون على إعادة اعمار بلدهم مرة أخرى، وكان كاتو الأكبر سنة ١٤٩ق.م قد تولى منصب الرقيب العام وأخذ يحرض الرومان ضد قرطاجة، وطالبهم باعلان

الحرب عليها، وكانت عبارته الشهيرة في كل خطبة، قرطاجة يجب أن تدمر، وعندما دخلت قرطاجة في نزاع مع نوميديا في سنة ١٥٠ق.م وهاجمت نوميديا، سارعت روما باعلان الحرب على قرطاجة سنة ١٤٩ق.م، واستطاع النوميديين والرومان هزيمة قرطاجة، التي استولى عليها الرومان واشعلوا فيها الحرائق والدمار وتم نسويتها بالأرض سنة ١٤٦ق.م([١٥٧]).

الآثار الاقتصادية للحروب البونيقية على روما

على الرغم من انتصار روما على غريمتها قرطاجة خلال الحروب البونيقية، إلا إن روما تكبدت خسائر اقتصادية باهظة من جراء هذه الحرب، فالإقتصاد الروماني عانى أشد المعاناة من ويلات الحرب، فقد دمر "هانيبال" الحقول والقرى، وقتل قطعان الماشية والاغنام. وبذلك تم تدمير الريف الإيطالي ولم يعد كما كان في وقت سابق غنيًا بالموارد الاقتصادية، مما أدى إلى هجره وترك الفلاحون مزارعهم للعمل في الجيش الروماني، مما أدى إلى تدهور الزراعة. واذا كانت طبقة المزراعين قد عانت من هذه الحرب، فإن طبقة الفرسان استفادت منها، لإنهم جنوا ثروات طائلة من المشروعات التي قاموا بها للدولة خلال فترة الحرب([١٥٨]).

وفي هذا الوقت راجت تجارة العبيد، الذين كان معظمهم من أسرى الحروب البونيقية، الذي كانوا يباعون في أسواق نحاسة روما، باقل الأسعار، وقد ادى العدد الكبير للعبيد إلى رخص اسعارهم. وانتهز بعض الاغنياء الجدد هذه الظروف في الاستيلاء على الأراضي المهجورة وبشكل خاص أراضي الدولة ager publicus، وكونوا منها إقطاعيات كبيرة latifundia([١٥٩]).

كما إن الفترة الطويلة التي قضاها الجنود الرومان في هذه الحرب، أدت إلى تعودهم على أسلوب حياة الجندية، والمغامرات وجني الأسلاب والغنائم والتنقل من مكان إلى أخر، ولذلك فانهم لم يتاقلموا مع أسلوب الحياة في الريف التى كانت تعتمد على مزاولة الزراعة، ولذلك هجروا الريف وانتقلوا الى العاصمة للعيش فيها، ولكنهم كانوا وبالاً عليها، فكانوا يتسكعون فيها، وأصبحوا جزءًا لا يتجزأ من غوغاء المدينة بلا عمل، ويطالبون الدولة بالخبز المجاني لهم. وطابع الجندية كان متأصلاً فيهم، فقد كانوا أميل إلى العنف والقسوة والطباع الجافة التي اعتادوا

([١٥٧]) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ١٧٩-١٨٠.

(١٥٨) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ١٦٤- ١٦٥.

(١٥٩) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ١٦٥- ١٦٦.

عليها في ميادين المعارك، مما جعلهم أكثر ميلاً إلى العنف والثورة على أي وضع ظالم في الدولة([١٦٠]).

أسباب انتصار روما على قرطاجة:

والآن لنا أن نتساءل عن سبب انتصار الرومان من ناحية وخسارة القرطاجيين من ناحية أخرى في الحروب البونيقية، تكمن الإجابة على هذا التساؤل في عدد من الأسباب، وهي:

أولًا:القوى العاملة:

إن الرومان كانت لديهم قدرة هائلة على تجنيد القوات العسكرية أكثر بكثير من قرطاجة، وهذا السبب كان سببًا رئيسيًا في ترجيح كفة روما في الحروب البونيقية، فتعدد السكان في روما وقرطاجة مختلف جدًا، حيث كان عدد سكان روما اكثر بكثير من عدد سكان قرطاجة–على الاقل في وقت هانيبال–، كما ان نظام الخدمة العسكرية في روما كان نظامًا اجباريا، فقد كان كل المواطنين الرومان الذكور من سن السابعة عشرة الى السادسة والاربعون ملزمون بتادية واجب الخدمة العسكرية. ومن ناحية اخرى كانت الخدمة العسكرية، سمة اساسية من علاقة روما بحلفائها، الذين كانوا ملزمين بتزويد روما بعدد من الوحدات العسكرية للانضمام الى الجيش الروماني، بينما كان المواطنون القرطاجيون غير ملزمون بالخدمة العسكرية خارج حدودهم، الا ربما الخدمة في البحر فقط وليس البر. حيث اعتمدت قرطاجة بدلًا من ذلك على الجنود المرتزقة، فضلًا عن استاجرها للكثير من المتطوعين من الخاضعين لها. وقد يعني ذلك للوهلة الأولى أن جنود قرطاجة كانوا أكثر مهنية واحترافية من الجنود الرومان، ولكن طريقة تجنيد هذه القوات المرتزقة، جعلت من الصعب تعبئتهم وحشدهم للحرب، وذلك لاسباب مالية وغيرها من الأسباب، والمقارنة بين الجانبين في هذا الشأن، تصب في صالح روما التي كانت متفوقة على قرطاجة([١٦١]).

وقد ظهرت قدرة روما على التجنيد بوضوح خلال الحرب البونيقية الأولي، فعلى الرغم من ان روما انتصرت في كل المعارك في البحر، إلا أنها أبتليت بسلسلة من الكوارث الطبيعية الخطيرة في إحدى هذه المعارك، فقد هبت عاصفة قوية قبالة كامارينا (Camarina) في سنة ٢٥٥ق.م على الأسطول الروماني، والحقت به خسائر فادحة، حيث تقدر هذه الخسائر بـ ١٥% من نسبة القوى العاملة للبالغين في ايطاليا ، مما أدي إلى تقليص روما لعدد قواتها البحرية في

---

(١٦٠)سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ١٦٥.

([١٦١]) L.E.Lazenby, Rome and Carthage, p. 235.

بداية ٢٤٠ق.م، بسبب شعور روما من الاجهاد من وطأة هذه الخسائر البشرية. ولكن في نهاية المطاف قامت روما ببناء اسطول جديد في سنة ٢٤٢ق.م، في حين ان القرطاجيين بعد هزيمة اسطولهم قبالة جزر الماعز (Aegates)، لم يستطيعوا تدعيم جيشهم في صقلية بقوات أخرى، مما اجبرهم على اللجوء إلى مائدة المفاوضات وعقد سلام مع روما([١٦٢]).

أما عن أهمية دور القوى العاملة في ترجيح كفة الرومان في الحرب البونيقية الثانية، التي كانت تختلف طبيعتها عن الحرب البونيقية الأولى، فهذه الحرب لم تكن حرب بحرية، وإن كان البحر قد لعب دورًا هامًا في تقرير مصيرها، وتجلت اهمية القوى العاملة في الحرب البونيقية الثانية في العام الثالث للحرب سنة ٢١٦ق.م، حيث قتل وأسر حوالي ١٢٠,٠٠٠ جندي من الرومان، وعلى الرغم من هذه الخسائر الباهظة، التي لم تصل إلى هذا العدد فيما بعد، فإن الهزائم الكبيرة التي لحقت بالرومان في اسبانيا وايطاليا لم تتوقف، وقد كانت لدى الرومان قدرة كبيرة على تجنيد أعداد كثيرة من الفرق، واستمر عدد الفرق في الازدياد، ووصلت ذروة عدد الفرق الروماني في سنة ٢١٢ق.م و ٢١١ق.م ، حيث جند الرومان خمس وعشرون فرقة رومانية، وعلى أي حال من الأحوال لم يقل عدد الجيش الروماني تحت السلاح عن خمسة عشر فرقة رومانية حتى بعد زاما، وهكذا كان هناك اكثر من ١٠٠,٠٠٠ جندي من الرومان والإيطاليين تحت السلاح–مجندين– فيما بين ٢١٦ق.م الى ٢١١ق.م، وربما كان هناك عدد إضافي من الجنود يقدر بحوالي ٥٠,٠٠٠ جندي كانوا يعملون في الأسطول الروماني([١٦٣]).

ثانيًا: الأسطول الروماني:

السبب الثاني للإنتصار العسكري الذي أحرزته روما على قرطاجة في الحروب البونيقية، يرجع إلى القوة البحرية الروماني أو الأسطول، الذي كان له تأثير فعال وواضح خلال مجريات الحرب البونيقية الأولي، التي كان ميدانها الرئيس جزيرة صقلية، وحقق لروما الإنتصار في كل معاركها البحرية ضد قرطاجة– ماعدا معركة دريبانا (*Drepana*) في سنة ٢٤٩ق.م، ومن خلال هذه المعارك البحرية، تعلمت روما بشكل سريع كيفية استغلال وتوظيف هذه القوة البحرية في صراعها فيما بعد مع قرطاجة، وعلى الاخص في غزوها لإفريقيا في سنة ٢٥٦ق.م، وعلى الرغم من النهاية الكارثية لهذا الغزو، فإن روما استغلت الاسطول الروماني في إنقاذ الباقيين من

([١٦٢]) L.E.Lazenby, Rome and Carthage, p. 235.

([١٦٣]) L.E.Lazenby, Rome and Carthage, p. 235-236.

الجيش المهزوم في أفريقيا، وقطع الإمدادات والمؤن العسكرية عن جيش قرطاجة في صقلية، مما أجبر قرطاجة على اللجوء إلى المفاوضات وعقد سلام مع روما([١٦٤]).

المبحث التاسع: الهرم الاجتماعي عند الرومان حتى نهاية العصر الجمهوري

يُقصد بالبنية الاجتماعية لأي مجتمع من المجتمعات، الشكل أو التكوين الاجتماعي لهذا المجتمع، وقد تختلف البنية الاجتماعية لمجتمع ما عن غيره من المجتمعات الأخرى، باختلاف الظروف والأحوال الخاصة بكل مجتمع من المجتمعات، وان كانت معظم المجتمعات القديمة كانت ذات بنية هرمية تتكون من طبقات مختلفة، فيها تختلف حقوق والتزامات كل طبقة عن الأخرى، وبالطبع فان المجتمع الروماني كان واحدًا من المجتمعات النمطية القديمة التي ساد فيها النظام الطبقي كشكل لبنية المجتمع في مختلف عصوره التاريخية سواء في العصر الملكي أو الجمهوري أو الإمبراطوري.

أولًا: طبقات المجتمع

انقسم المجتمع الروماني خلال العصر الجمهوري إلى طبقتين متمايزتين في الحقوق والواجبات، هما الطبقة الأرستقراطية *patricii* أو طبقة النبلاء أو البطارقة، الذين قادوا الثورة ضد النظام الملكي الأتروسكي الغابر، ولذلك كان من الطبيعي أن يستأثروا بالحقوق السياسية الكاملة دون غيرهم، والطبقة الأخرى هي طبقة العامة plebs ، الذين كانوا ممنوعين من شغل المناصب الشرفية العليا في الدولة ومحرومين المشاركة في الحياة السياسية في روما في العصر الجمهوري. بينما كانت تقع عليهم مسئولية الدفاع عن البلاد كجنود في الجيش الروماني. ووجدت أيضًا طبقة ثالثة في العصر الجمهوري هي طبقة الفرسان([١٦٥]).

ثانيًا: الصراع الطبقي

وكانت الأعباء الرئيسية التي تثقل كاهل العامة قد تمثلت في مشكلة الديون، وما ترتب عليها من الوقوع في العبودية أو القتل إذا عجز العامة عن تسديد ديونهم. وقد أدى ذلك إلى توتر في العلاقات بين الطبقة الأرستقراطية وطبقة العامة، بسبب رغبة العامة في أسترداد حقوقهم المسلوبة والتخلص من الأعباء والالتزامات التي وقعت على كاهلهم، وأستمر هذا الصراع لمدة ست مراحل في كل مرحلة، كان العامة يحصلون على جزء من حقوقهم المهدورة على يد الطبقة الأرستقراطية.

([١٦٤]) L.E.Lazenby, Rome and Carthage, p. 236.

([١٦٥]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٧٩-١٨٠.

المرحلة الأولى :تعيين تربيون للعامة ٤٩٤ق.م

خلال هذه المرحلة طالب العامة بأن يكون لهم منصب تربيون عامة، يقوم بالدفاع عن مصالحهم المختلفة ضد طمع الطبقة الأرستقراطية، حيث طالب العامة الاعتراف بترابنة او نقباء العامة بصورة رسمية، لكن الارستقراطيين رفضوا ذلك الأمر، ولذلك لم يكن أمام طبقة العامة إلا أتباع أسلوب التهديد بالانسحاب خارج مدينة روما سنة ٤٩٤ق.م، وذلك اثناء مواجهة روما لخطر القبائل الفولوسكية، وقام العامة بالتهديد بترك المدينة للأرستقراطية وتأسيس مدينة مستقلة لهم ينعمون فيها بكل حقوقهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فهم يضحون من اجل روما ولا يتمتعون باي حقوق، وفي النهاية رضخ الارستقراطيون ووافقوا على طلب العامة بانشاء منصب التربيون الشعبي، وفي البداية كان عددهم أثنين من الترابنة، كان لهم حق الاعتراض على أي اجراء يصدر من أي حاكم ضد مصالح العامة، واعتبر الترابنة مقدسين لا يجوز المساس بهم ومن يفعل ذلك فانه يعتدي عليهم تحل عليه لعنة الآلهة ويسفك دمه([١٦٦]).

المرحلة الثانية: المطالبة بتسجيل القوانين٤٤٩ق.م

لكي يضمن االعامة حقهم في وجود محاكمات عادلة ونظام قضائي عادل لا تتحكم فيه الأهواء والطبقة التي ينتمي إليها الشخص، طالبوا في هذه المرحلة بضرورة تسجيل القوانين أي كتابتها، حيث كان تفسير القانون قديمًا عند الرومان حكرًا فقط على الطبقة الأرستقراطية، الذين كانوا يفسرونه وفقًا لمصالحهم الخاصة، لذا قام العامة بالمطالبة بتسجيل القوانين، لأن النبلاء في ظل غياب القوانين المكتوبة لم تكن هناك أي حقوق للعامة، واقترح الترابنة وضع قوانين ثابتة لأول مرة في سنة ٤٦٢ق.م، حتى يعرف كل فرد في المجتمع حقوقه وواجباته، وبعد سنوات عديدة وبالتحديد في سنة ٤٥٠ق.م وافق مجلس الشيوخ على تشكيل لجنة من عشرة من الحكماء عرفت بلجنة العشرة من أعضاء مجلس السناتو لتسجيل وصياغة القوانين، صدرت هذه القوانين سنة ٤٤٩ق.م منقوشة على ألواح وعرفت بقوانين الألواح الأثنى عشر، لإنها كتبت على أثنى عشر لوحًا من البرونز، ولإعلانها للجميع تم وضعها في الفوروم لكي تكون مكان يستطيع الجميع الأطلاع عليها. اعترفت هذه القوانين بالعديد من الحقوق لطبقة العامة، إلا إنها لم تكن كافية لإرضاء العامة، فقد ظل الصراع بين النبلاء والعامة مستمرًا ([١٦٧]).

([١٦٦]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٦٩-٧٠: إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٨١-١٨٢.

([١٦٧]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٧١-٧٢.

على الرغم من أهمية قوانين الألواح الأثنى عشر، إلا ان بعض بنودها كانت تهدد حرية المواطنين الرومان، حيث اعترفت هذه القوانين باحقية الدائن في القاء القبض على المدين وسجنه وبيعه في أسواق الرقيق إذا لم يستطيع المدين أن يسدد ما عليه للدائن في الوقت المحدد لسداد الدين. فضلًا عن ذلك فإن هذه القوانين شرعت وضعت أساسًا دستوريًا لمنع الزواج بين النبلاء والعامة([١٦٨]).

المرحلة الثالثة: حصول العامة على عدد من الحقوق السياسية

بعد أن استطاع العامة انتزاع حقهم في وجود محامين أو ممثلين عنهم وتسجيل القوانين لكي تطبق على الجميع دون تمييز، فإنهم انتقلوا إلى مرحلة أخرى، وهي مرحلة المطالبة بحقوقهم السياسية في المجتمع الروماني، وخلال هذه المرحلة استطاع العامة الحصول على العديد من المكاسب السياسية، منها: زيادة عدد ترابنة العامة إلى عشرة ترابنة، كانوا يتناوبون العمل على مدار السنة. وبالإضافة إلى ذلك أصبح من حق ترابنة العامة الجلوس حضور جلسات مجلس الشيوخ، ولهم حق الصياح أو الأعتراض veto إذا لم يوافق مجلس السناتو على أي موضوع يخص العامة معروض للمناقشة في السناتو، وبعد ذلك سمح لترابنة العامة الجلوس داخل قاعة مجلس السناتو، ولكن دون أن يصبحوا أعضاء فيه.واصبحوا جزء لا يتجزأ من الوظائف العامة، ويتمتعون بنفوذ. وفي سنة ٣٠٠ق.م أصبح من حق الترابنة تقديم أي حاكم سابق للمحاكمة أمام جمعية القبائل. وخلال القرن الثاني قبل الميلاد أصبح من حقهم دعوة مجلس الشيوخ للانعقاد([١٦٩]).

المرحلة الرابعة: الحصول على حق زواج العامة من الارستقراطية ٤٤٥ق.م

بحثًا عن الاندماج الاجتماعي بين العامة والأرستقراطيين، طالب العامة خلال المرحلة الرابعة من الصراع الطبقي مع الارستقراطيين، بحقهم في إلغاء قرار حظر زواج أي شخص من العامة من طبقة البطارقة، وجاء هذا المطلب بعد أن تقدم التربيون الشعبي "كانيليوس" canaelius بطلب لإلغاء حظر الزواج بين العامة والأرستقراطية، وقد وافق الأرستقراطية على هذا الطلب الذي حقق العدل الاجتماعي بين العامة والأرستقراطية. وبموجب هذا القانون أصبح الزواج بين النبلاء والعامة زواج شرعي Conubium ([١٧٠]).

([١٦٨]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٨٨-١٨٩.

([١٦٩]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٨٢-١٨٣.

([١٧٠]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٨٩: سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٧٢.

المرحلة الخامسة: المطالبة بالمساواة الكاملة مع الارستقراطية ٣٧٦-٣٦٦ق.م

قام العامة في سنة ٣٧٦ق.م بحركة ثورية كاملة، ففي كل مرحلة من المراحل السابقة في الصراع بين الطبقتين، كان العامة يطالبون بمطالب محددة، لكن في هذه المرحلة طالب العامة بحقوقهم الكاملة سواء الحقوق الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية، وتزعمهم حركتهم في هذا الوقت أثنان من ترابنة العامة هم "ليكينوس" licinius و "سكتيوس" sexteius . تقدموا بعدد من الاقتراحات من أجل تخفيف حدة الصراع بين النبلاء والعامة، فقد طالبوا بالمساواة الكاملة مع البطارقة. وفي بداية الأمر رفض البطارقة هذه المطالب، إلا إنهم في الأخير وافقوا بعد ذلك خوفاً من تهديد العامة بالإنسحاب من المدينة مرة ثانية، وأقر هذه الاقتراحات مجلس السناتو، التي عرفت بـــ قانون "ليكينوس سكتوس"، الذي نصت بنوده على الآتي:

١- من حق الأشخاص المنتمين إلى طبقة العامة تولي مناصب الدولة التنفيذية العليا، وبذلك صبح أحد القنصلين ينتمي إلى طبقة العامة، وبالتالي تمكن العامة من دخول مجلس السناتو والحصول على عضويته.

٢- يتم اعتبار الفوائد التى سبق دفعها عن مبلغ مقترض من أي شخص ينتمي إلى طبقة العامة، جزء من رأس المال المقترض وتخصم منه، وبالتالى خفف كاهل العامة من مشكلة الديون.

٣- يتم تحريم الاسترقاق بسبب العجز عن رد الديون، حيث كانت العادة المتبعة عند الرومان أن المدين يقع في دائرة الاسترقاق لدائنة إذا عجز عن تسديد دينة في الوقت المحدد سلفًا.

٤- ضمان حصول العامة على قطع من الأراضي العامة للدولة، وذلك بعدم السماح لأي مواطن روماني أن يمتلك من الأرض العامة اكثر من ٥٠٠ يوجيرا ugera.

٥- أن يعين أحد العامة لحراسة الكتب التي باعتها الكاهنة "سيبيل" للملك تاركوينوس المتغطرس.

في البداية لم يتم الاعتراف بهذه الاقتراحات من قبل مجلس السناتو، ولكن بعد مرور عشرة سنوات ٣٦٦ق.م، وافق السناتو على اقتراحات ليكينيوس وسكستيوس وتحولت هذه الاقتراحات الى قوانين، وهكذا أصبح العامة من الناحية القانونية النظرية على قدم

المساواة مع طبقة النبلاء، بينما من الناحية الواقعية كان الأمر مختلفًا تمامًا، لأن القناصل ظلوا ينتخبون من النبلاء فقط([١٧١]).

المرحلة السادسة: حق المجلس القبلي في سن التشريعات ٢٨٧ق.م

طالب ترابنة العامة في سنة ٢٨٧ق.م بمنح المجلس القبلي الحق في سن القوانين، وذلك بهدف أشراف العامة على قوائم تسجيل المواطنين الرومان وعملية التصويت ومراقبة الاقطاعيين والحد من نفوذهم، وكان ذلك خلال الحرب مع سامنيوم، ولتنفيذ هذا المطلب هدد العامة بعدم الاشتراك في القتال إذا لم يتم الموافقة على هذا المطلب، مما دفع الدكتاتور "هورتنسيوس" إلى إصدار قانون بحق المجلس القبلي في إصدار القوانين، وبذلك أصبح هذا المجلس من أقوي المؤسسات التشريعية في روما، حصل العامة على العديد من حقوقهم سواء السياسية أو الاجتماعية بعد اجادتهم لاستخدام سلاح التهديد بالانسحاب من روما([١٧٢]).

المبحث العاشر: التطورات السياسية الداخلية والخارجية لروما حتى نهاية النظام الجمهوري

انتقلت روما بالتدريج من مجرد مدينه فى شبه جزيرة إيطاليا إلي عاصمة لإمبراطورية شملت معظم أقاليم البحر المتوسط([١٧٣]) وتمحض عن قيام هذه الإمبراطورية العديد من المشكلات فكما جاء عند "باور" (يعتبر القرن الأخير من ١٣٣ق.م من عهد الجمهورية الرومانية قرن اضطراب سياسي وتوسع تجاري ومالي وحيرة خليقة، وفي هذه الفترة نشأت مسائل جديدة خاصة بالحكم المركزي والإقليمي والدفاع وتوزيع الأراضي والقادة العسكريين الذين تؤيدهم الجيوش والذين كانوا يتحدون الدولة، كما نشأت بصفة خاصة طبقة المصالح القوية والأفكار الجديدة في الفلسفة والدين، وأساليب السلوك الجديدة، وفيها برزت الأسماء التي يعرفها كل إنسان مثل الأخوين جراكوس، وسوللا وبومبى، وكراسوس، ويوليوس قيصر، وبروتوس وأنطونيوس، وشيشرون وغيرهم.

فالدوله الرومانيه منذ عام ١٣٣ق.م. أصبحت تتحكم في إمبراطورية شاسعة تمتد وراء البحار وتشمل أجناسا مختلفة ، لذلك واجهت مشاكل جديدة وغريبة لم تتعود عليها أجهزتها

([١٧١]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٧٢٠٧٣.

([١٧٢]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٧٥-٥٦.

([١٧٣]) Glay.M., A history of Rome, 2edition, bacwell, Oxford, 2001, p.81.

ومؤسساتها وأصبحت قوانينها القديمة عاجزة عن مسايرة الظروف الجديدة([١٧٤])، وظهرت الجمعيات الشعبية والهيئات القضائية بعجزهاعن إدارة شئون الإمبراطورية الرومانية بجدارة، وكذلك من المشكلات التي ظهرت في ذلك الوقت ظهور السخط وعدم الرضا بين الحلفاء الإيطاليون واللاتين، وكذلك ظهور بوادر الضعف في الجيش الروماني، وتهديد غوغاء المدينة باستخدام العنف في الوقت الذي كانت ترفض فيه الطبقة الحاكمة أي تغيرات سواء اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية، وقادت هذه المشكلات في النهاية إلي سقوط نظام الجمهورية الرومانية سنة٢٧ق .م([١٧٥]).

والآن سنعرض عرضا موجزا عن أهم أسباب قيام الثورة :

أولا : الدوافع الاجتماعية :

حيث بدأ المجتمع الروماني منذ النصف الثاني من القرن الثاني ق.م. يعاني من تطورات اجتماعية خطيرة أدت هذه التطورات في النهاية إلي قيام صراع بين طبقات المجتمع مما أدى إلي سقوط نظام الحكم الجمهوري في روما سنة ٢٧ ق.م.

أ- ظهور طبقة الفرسان :

تكونت طبقة الفرسان في المجتمع الرومانى من رجال الأعمال والتجار، حيث كان أعضاء هذه الطبقة يقومون بإمداد الدولة بما تحتاج إليه من الغذاء والكساء والأسلحة، ويقومون بشراء الأسلاب والغنائم الحربية من الدولة، وأنتشر هؤلاء في إيطاليا وكذلك ذهب الكثير منهم إلي الشرق([١٧٦])، وجنت هذه الطبقة من وراء نشاطها في مختلف ضروب الأعمال الرأسمالية أرباحا طائلة استثمرتها في شراء الضياع الكبيرة Latifundia وعرفت هذه الطبقة باسم طبقة الفرسان (orddo Equiester-Equites)([١٧٧])، وفي البداية أطلق لقب الفرسان علي الذين

([١٧٤]) سيد أحمد علي الناصري، تاريخ الرومان " من القرية إلي الإمبراطورية"، دار النهضة العربية،(بدون طبعه)، القاهرة، ١٩٧٦، ص ١٩٠.

([١٧٥]) Sinniger, W.G., A history of Roma to A.D. 565 p.p. 153-154.

([١٧٦]) ر.هـ.باور، الرومان، ترجمة عبد الرازق يسري، وسهير القلماوي، دار نهضة مصر، (بدون طبعة)، القاهرة ، ١٩٦٨، ص٢١: رستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والأقتصادى ، الجزء الأول، (بدون طبعة)، ترجمة زكي علي ومحمد سليم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (بدون تاريخ) ، ص ٣٨-٣٩.

([١٧٧]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان (١٣٣-٤٤ق.م.) الجزء الثاني، الطبعة الثانية، الجهاز المركزي للكتب الجامعية، ١٩٧٨، ص ٤٠٩.

يمتلكون ثروه تؤهلهم من تجهيز أنفسهم بخيول (Equus) عند الحرب ولذلك سموا بالفرسان Equites ثم أصبح في القرن الثالث لقب الفرسان يعني رجال الأعمال والتجار([١٧٨]).

وكان طبيعياً لإمتلاك الفرسان الأموال أن يضيقوا ذرعاً من احتكار النبلاء للوظائف العامة والهيمنة على مقاليد الحكم، فهذه الطبقة لم يكن لها أي أثر محسوس في الحياة السياسية أو في توجيه سياسية الدولة، بسبب إفتقارها إلي كيان سياسي محسوس يميزها عن غيرها، وينظم حقوقها ويعبر عنها تعبيراً فعالاً، لذلك سعى أفرادها سعياً حثيثاً للدخول في سلك الوظائف العامة، وذلك عن طريق إنتخابهم لتولية إحدى هذه الوظائف([١٧٩])، وظهرت بداية الدور السياسي لطبقة الفرسان في القرن الثاني ق.م. حيث كانوا يعلبون دوراً رئيسياً في"جمعية المئينات" Centuriate assembly فتطلعوا بعد ذلك أن يلعبوا دوراً فعالاً في الحياة الاجتماعية والسياسيه وخاصةً في الشئون القانونية وإزاء هذه الظروف الجديدة تولدت جبهة معارضة من الفرسان ضد رجال السناتو والأرستقراطيين أخذوا يطالبون بالمساوة في حكم البلاد، بينما كان السناتو ينظر بعين الإحتقار إلي رجال طبقة الفرسان علي كونهم ينحدرون من أصول إجتماعية وضيعة، أستطاعوا عن طريق التجارة والربح والجشع وإستغلال الفتوحات الرومانية أن يكونوا ثروات طائله فكان مسموحاً لهم مزاولة كافة أنواع الأنشطه التجاريه، بينما كان محرماً علي رجال السناتو طبقًا لقانون عام ٢١٨ ق.م الإشتغال بالتجارة، فإزداد رجال الفرسان نتيجة لذلك ثراءً، وأصبح رجال طبقة الفرسان حلفاء للعامة في مقاومة إستئثار النبلاء بإدارة شئون الدولة([١٨٠]).

وكانت العلاقات بين طبقة الفرسان والطبقة الأرستقراطية من النبلاء وأعضاء السناتو عدائية وخاصةً منذ أن أصبح للفرسان يشكلون جبهه سياسيه لأول مرة في عهد جايوس جراكوس عندما عهد إليهم بتوليه القضاء (هيئة المحلفين وإسترداد الأموال المبتزة) علي أن هذه لا يعني أنه لم تكن هناك علاقة سلمية وودية، حيث وجد وفاق وود بين الفرسان والأرستقراطيين وبخاصةً حينما كانت أعمال الشغب والعنف التي كان يثيرها الزعماء الشعبيين تلحق الضرر بمصالح الفرسان، وقام "شيشرون" بجهود مضنيه لتحقيق الوفاق بين الفرسان والأرستقراطية، حيث يقول باور: "ولكن جهود شيشرون كان مكتوبًا عليها بالفشل، وذلك إنه حيث كان قنصلاً ٦٣ق.م. كرس نفسه لجمع شتات الدولة لمجابهة حزب المنشقيين الذي كان يتزعمه كاتيلين([١٨١]).

([١٧٨]) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق ، ص ٢٠٤

([١٧٩]) Glay. M. op. Cit., P.98.

([١٨٠]) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق ، ص ٢٠٤

([١٨١]) ر.هـ. باور، المرجع السابق، ص ٧٠.

ب- مشكلة غوغاء المدينة :

حيث أن الكثير من الرومان فضلوا الإنضمام إلي غوغاء مدينة روما بعد أن عادوا من الحرب وكانوا غير قادرين علي العودة إلي مزاولة الحياة الريفية الرتيبة، ووجدوا مزارعهم قد رهنت لإعالة أسرهم، ولذلك سارعوا إلي بيع مزارعهم إلى الأغنياء ورحلوا إلي روما، وأنضم هؤلاء الجنود إلى غوغاء المدينة الذين تسببوا في كثير من الاضطرابات للدولة، لذلك لجأت الطبقة الحاكمة إلي رشوتهم بطرق مباشرة وبطرق غير مباشرة للحفاظ علي مكانتهم ونفوذهم، وقد إزداد سكان روما في القرن الثاني ق.م. إلي نحو نصف مليون نسمة وبذلك أصبحت تنافس أكبر عواصم العالم الهلينستى سواء الإسكندرية وأنطاكية من الناحية السكانية، وكان نتيجة لإزدياد عدد غوغاء المدينة في روما نتائج سياسية خطيرة حيث كانت لديهم فراغ من الوقت أتاح لهم حضور معظم جلسات الجمعية الشعبية (جمعية القبائل) والإدلاء بأصواتهم في مقابل الحفلات والمآدب مما كان يؤثر علي الحياة العامة في روما([١٨٢]).

ونتيجة لهذه العدد الكبير من السكان أصبحت عملية إمداد وتموين المدينة بالغذاء مشكلة في حد ذاتها حيث كانت عملية التموين عن طريق البر بطيئة، وعن طريق البحر كانت هذه العملية محفوفة بالمخاطر، وتسبب إرتفاع سعر القمح أو تأخير وصوله إلي روما في تعرض المدينة لخطر المجاعات، وخاصة أن القمح الذي كانت تعتمد عليه روما هذه الفترة كان يأتي من صقلية، لذلك أثار غوغاء روما الشغب مطالبين بمنح القمح المجانية التي كانت قد أصبحت حقاً ثابتاً لهم منذ عام ٥٨ ق.م من وجهة نظرهم الخاصه، حيث جعل كلوديوس سد حاجة فقراء روما من القمح منحة دون مقابل([١٨٣]).

ج- مشكلة العبيد :

كان الرق موجوداً في الدولة الرومانية منذ وقت بعيد، ولكن يبدوا أنه لم يكن ذو أهمية اقتصادية في البداية، فكان معظم هؤلاء العبيد من أسرى الحروب التي خاضتها روما، أو من الذين لم يستطيعوا أن يدفعوا الفدية عن أنفسهم للرومان، فأصبحوا عبيداً وفي الحروب الباكرة أشتركت روما مع جيرانها الإيطاليين في حروب عديدة وأسرت منهم الكثير، فعند إستيلاء الرومان علي "تارنتوم" Tarentum تم بيع ثلاثين ألف من سكانها كعبيد([١٨٤]).

([١٨٢]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ٣٤ .

([١٨٣]) Sinnigen.W.G., op. Cit., P. 150.

([١٨٤]) Sinnigen.W.G., op. Cit., P. 89.

وأستغل أصحاب الأعمال من الرومان العبيد أسوء استغلال، وعاملوهم معاملة سيئة حيث كانوا يستغلونهم حتى الموت عملاً بنصيحة "كاتو" في بحثه عن الزراعة، حيث كانوا يساقون وهو مكبلون في الأغلال للعمل في الضياع تحت الشمس المحرقة، وفي الليل كانوا يوضعون في زرائب كالماشية، ويلقى إليهم بقليل من الطعام، ولذلك أخذ العبيد يتحينون الفرصة لإعلان تذمرهم وسخطهم ضد الرومان، ومن أهم ثورات العبيد، الثورة التي قامت فى عام ١٣٨ ق.م.، وثورات أخرى كانت كتلك الثورة التي قام بها العبيد في صقلية ١٣٦ ق.م، إزاء هذه الثورات لم يتحرك السناتو لحل مشكلة العبيد وتحسين أحوالهم الاجتماعية، حتى الزعماء الشعبيين تجاهلوا مشاكل العبيد تجاهلاً تامًا فلم يرد أي قانون ينصف هؤلاء التعساء وينتشلهم من أوضاعهم الاجتماعية البائسة([١٨٥]).

ثانيا : الدوافع الاقتصادية :

حيث ترتب علي فتوحات روما الخارجية في القرنين الثالث والثاني ق.م نتائج اقتصادية هامة، خاصة بعد الإستيلاء علي قرطاجة وضم معظم ممالك الشرق إلى أملاك الشعب الروماني، فتدفقت الثروات إلي روما سواء من العمله المسكوكة أو من كميات هائلة من المقتنيات الثمينة من الذهب والفضة، فأصبحت روما صاحبة أملاك واسعة وضمت إليها مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية ومراعي وغابات ومصايد أسماك في البحيرات التي كانت تابعة للإمبراطورية القرطاجية([١٨٦])، لذلك كان

أهم نتائج هذه التطورات الاقتصادية ظهور مجموعة من المشاكل الاقتصاديه وهي:

١- مشكلة الأراضي :

كان لملكية الأراضي الزراعية أهمية كبيرة في المجتمع الروماني، حيث إنها حددت في القرن الثاني ق.م الوضع الاجتماعي والسياسي للأفراد في المجتمع، وظهرت مشكلة الأراضي نتيجة للحروب التي خاضتها روما في القرنين الثالث والثاني ق.م، فأنتشرت الضياع الكبيرة Latifundia في كل أنحاء إيطاليا نتيجة لقيام أفراد الطبقة الحاكمة الأرستقراطية The Governinng class بإستغلال ثرواتها في شراء الأراضي الزراعية خاصة من الأراضي العامة، أو عن طريق الشراء من صغار المزارعين الأحرار الذي تركوا مزارعهم خاصةً بعد إنتهاء حروب هابنيال وما لحق بهذه المزارع من خراب ووقوع أصحابها تحت وطأة الديون، وكان من أهم مصادر تكون الأراضي العامة لروما بخلاف الفتوحات الخارجية والاستيلاء علي

([١٨٥]) دونالد . دولي، المرجع السابق، ص ٧٧.

(١٨٦) رستوفتزف، المرجع السابق، ص ٣٤ .

الإمبراطوريه القرطاجيه، ما أتبعته روما من معاقبة القبائل التى ساعدت هانيبال ضد روما عن طريق مصادرة أراضى هذه القبائل([١٨٧])، وكان المستفيد الأول من الأراضي العامة هم الأرستقراطيين الذين امتلكوا المساحات الكبيرة الصالحه للزراعة وامتلك هؤلاء الأغنياء رؤوس الأموال اللازمة لتجهيز وتمويل المزارع والضياع.

وترجع أهم أسباب انتشار الضياع الكبيرة Latifunida إلي النظام الذي كانت الدولة الرومانيه تتبعه في إدارة الأراضى العامة، وبخاصة نظام تأجير الجزء الأكبر منها، حيث دأب معظم مستأجري الأرض العامة علي وضع أيديهم علي الأرض العامة وامتلاكها كأملاك خاصة Possessio، وكانت نسبة الإيجار علي الأرض العامة تقدر بخمس المحصول في حالة زراعة الأرض بالفاكهة، وعشر المحصول في حالة زراعة الأرض بمحاصيل الغلال (القمح)، أما عن طريقة تقدير الإيجار المفروض علي أراضي الرعي فإن الضريبه كانت تقدر علي أساس عدد الحيوانات التي تعيش علي كلأ الأرض العامة([١٨٨]).

وبتحكم الأرستقراطيين في الحكم فإن الحكومة أغلقت حقوق الدولة في المطالبة بسداد الإيجار المستحق علي الأرض العامة، وبمرور الزمن انتهك أرباب الحيازة (Possessores) حقوق العبيد علي نطاق واسع في الضياع الكبيرة ، حيث عمل هؤلاء العبيد تحت ظروف سيئة لذلك بدأوا في التذمر والثورة خاصةً في عام١٣٥ ق.م وتعرف هذه الثوره باسم ثورة العبيد الأولى التي نشبت في صقلية، وترتب كذلك علي مشكلة الأراضي وإنشاء الضياع الكبيرة مشكلتين في غاية الأهمية، وهما مشكلة تناقص أعداد صغار المزارعين الأحرار، وكذلك مشكلة زيادة سوء أحوال العبيد الاجتماعية([١٨٩]).

---

(١٨٧) ولعلنا نستطيع أن تستنتج من خلال مقدار هذا الإيجاز الذي كان يحصل من الأرض العامة التي تزرع بالفاكهة أن الدولة في ذلك الوقت كانت في شبة استكفاء خارجي من القمح، خاصة من قمح صقلية وشمال أفريقيا. انظر:

Glay. M. op. Cit., P.147

([١٨٨]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ١٣ – ١٤

([١٨٩]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، ص ١٤ – ١٦

ب- مشكلة تناقص أعداد صغار المزارعين :

حيث تسبب استغلال الأغنياء من الأرستقراطيين لرؤوس أموالهم في زراعة الكروم والزيتون، إلي مضاعفة أسعار الأراضي في الأقاليم الإيطالية، وأغرى ذلك الكثير من الفلاحين ببيع أراضيهم ومزارعهم إلي الاغنياء، والهجرة إلي المدن أو إلي الولايات الرومانية([١٩٠]).

أما كبار ملاك الأراضي سواء كانوا من الأرستقراطيين أو من الفرسان فإنهم لجاوا إلي وسائل غير مشروعة لطرد صغار المزارعين من الأرض العامة، بجانب الحروب التي كانت من أهم أسباب تدهور طبقة صغار المزارعين وطردهم من الأرض العامة، فكانت الحروب السبب الرئيسى فى تدهور طبقة صغار المزارعين الأحرار وذلك نتيجة للحروب التي خاضتها روما في القرنين الثالث والثاني ق.م. فلقي الكثير من أفراد هذه الطبقة حتفهم في هذه الحروب، وحتى من كان يعود منهم إلي وطنه لم يكن أسعد حالاً ممن لقوا حتفهم، حيث أن هؤلاء عادوا وكانوا غير قادرين علي العمل في الأرض، وكذلك وجدوا بعض الجنود بعد عودتهم أن أراضيهم قد رهنت لإعالة أسرهم، ولم يكن أمام هؤلاء الجنود إلا أن يبيعوا مزارعهم الصغيرة لجيرانهم الأغنياء، وبعد أن فقدوا مزارعهم عمل البعض منهم كأجراء موسميين في المزارع والبعض رحل إلي روما، والبعض الآخر هاجر إلي بلاد الغال البعيده cisalpine gaul، حيث كانت توجد هناك الأراضي الجديدة التي مازالت متاحة لهم، وعاني الحلفاء مثلما عاني الرومان من الحروب، فهاجر الكثير منهم إلي روما في شكل جماعات كبيرة تاركين ورائهم أوطانهم ومدنهم وقراهم ولذلك أخذت مدنهم تناشد مجلس السناتو بإرجاعهم إليها بالقوة، مما وضع السناتو فى مواجهة مشكلة هامة وهي مشكلة تناقص أعداد طبقة صغار المزارعين الأحرار، وبالتالي تؤدى إلي التاثير السلبى علي قوة الجيش الروماني، فلم يكن أمام السناتو إلا إن يتصدى لهذه المشكلة وان يقوم بحلها أو أن يتبع سياسية خارجية دفاعية([١٩١]).

ثانيا: الدوافع السياسية : ١- الصراع علي السلطة :

حيث برز السناتو بعد الحروب التي خاضتها روما أقوى سلطانا من ذي قبل، وأصبح هو المتحكم الوحيد في الشئون العسكرية والاقتصادية وتحكم السناتو في ذلك الوقت فى علاقات روما الخارجية وفى الاقتصاد وشئون الدولة، وإدارة وتنظيم الولايات الرومانية، أما من الناحيه السياسيه فاستطاع السناتو أن يسلب الجمعية الشعبية (القبلية) سلطاتها ولم يعد لهما نفوذ أو أي

([١٩٠]) رستوفتزف، المرجع السابق، ص ٤٦.

([١٩١]) Glay. M. op. Cit., P. P. 149-150.

سلطة مما أدى إلي وجود نوع من الصراع بين الهيئتين السياسيتين في البلاد، وكذلك بدأ المجتمع الروماني يعاني من صراعات طبقية داخلية نتيجة لتصارع الطبقات من أجل الوصول إلي السلطة، وكان هذه الصراع مصدره الرئيسي طبقة رجال السناتو، أما الطبقة الثانيه فى هذا الصراع فهى طبقة العامه blebs التي كونت مع طبقة الفرسان Equites جبهة الشعبيين populares أو الديموقراطيين ضد الارستقراطيين Optimates " الفضلاء"، وفي هذا الصراع قام الفرسان بتزعم العامه للمطالبه بالمشاركة في السلطة مستخدمين في ذلك أموالهم لبث الاضطرابات وتمويل الانقلابات والمؤامرات من أجل إسقاط النظام القديم ووضع نظام جديد يعطيهم نفوذ أكبر في حكم البلاد، وقد إندلع هذا الصراع بين طبقات المجتمع الثلاثة – العامة والأرستقراطية والفرسان – وأستمر ما يقرب من قرن كامل([١٩٢]).

٢- الابتزاز وسوء إدارة الولايات :

كان يتولى حكم الولاية الرومانية قائد برتبة براتيور أو بدرجة قنصل سباق وكان هذا القائد يتمتع بسلطة الإمبراطور البروقتصلي Imperieum Pro comsulare وقد ساد الفساد في حكم الولايات نتيجة للرشوة وأعمال النهب وابتزاز أهالي الولايات من قبل الحكام الرومان الذين أخذوا يبتزون الاهالى لجمع الثروات الطائلة، بالإضافة إلي معاناة الأهالي من الملتزمين أو جامعي الضرائب Publicni الذين كان معظمهم من رجال المال القساة الذين أذاقوا شعوب الولايات الكثير من الويلات، ومحاولة من السناتو للقضاء على الابتزاز المالي والفساد أصدر قانون كالبورنيوس Calpurnius فى عام ١٤٩ق.م، بإنشاء محاكم لمحاربة الابتزاز المالي علي أن تكون هذه المحكمة من خمسين عضواً من أعضاء السناتو ولم تنجح هذه المحكمة في أداء عملها لأن المتهمين من نفس طبقة محلفين المحكمة، لذلك حاول جايوس جراكوس أن يعيد إصلاح هذه المحكمة بجعل هيئة المحلفين فيها تتكون من الفرسان وليس من أفراد السناتو([١٩٣]).

٣- مشكلة الحلفاء:

كان الموضوع الأساسى للصراع بين الأرستقراطيين والعامة هو قضية الأرض وبدأ يتوارى هذا الموضوع إلي الوراء وتظهر مشكلة ذات طابع سياسي بحت وهى مشكلة الحقوق السياسية التي كان يطالب بها الحلفاء اللاتينيين والإيطاليين وكان يتزعم حركة المطالبة بهذه الحقوق البرجوازيين في المدن الإيطالية واللاتينيه، حيث ان روما بعد ان حققت احلامها التوسعية تتكرت لهم وعاملتهم كرعايا خاضعين لها مثل باقي الشعوب غير إيطالية، والواقع أن

([١٩٢]) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ١٩٠ .

([١٩٣]) سيد أحمد علي الناصري المرجع السابق، ص١٩٥.

عبء الخدمة العسكرية وقع عي كاهلهم وكان الحلفاء أوفياء لروما حتى في أشد أزماتها خاصة أثناء الحرب البونية الثانية، ولعلنا نتسأل عن سر وسبب مطالبة الحلفاء بحقوق المواطنة الرومانية، ونجد اجابتنا فيما كانت تنطوي عليه هذه الحقوق من مميزات مثل أحقية المشاركة في حكم الولايات، وكذلك أحقية إستئناف الأحكام الصادرة، وكذلك التمتع بالحصانه ضد بطش وجور حكام الولايات الرومانية([١٩٤]).

وازداد حقد الحلفاء علي الرومان خاصة عندما كان الجنرالات الرومان يعطون الجندي الإيطالي نصيب أقل من الأسلاب مما كان يعطي لزميله الجندى الروماني ، وكذلك بسبب ظلم القانون الروماني في إباحة جلد الإيطالي بينما حرم جلد الروماني طبقا للقانون ، وبخلاف سيطرة الدولة بمفردها علي الجزية والمكوس الجمركية وعلي الأرض العامة والمناجم في الولايات وزد علي ذلك ما كان يقوم به الأيديلس من جمع التبرعات من الحلفاء لإقامة الحفلات في روما مما كان يحملهم اعباء ثقيله لكل هذه الأسباب سالفة الذكر شعر الإيطاليين بمرارة الظلم الذي وقع عليهم في حين أنهم كانوا العمود الفقري في الجيش الروماني، لذلك فعند إثارة مشكلة الأراضي ثار الحلفاء ضد روما وبذلك كانت مشكلة الأراضي بمثابة القطرة التي أفاض منها الإناء بالنسبة لمشكلة الحلفاء([١٩٥]).

رابعا :تاثير الشرق الهيلينستى فى قيام الثوره

وبالإضافة إلي ما تقدم ذكره كانت هناك أسباب ودوافع للثورة الاجتماعيه التي شهدتها الدوله الرومانيه منذ أواخر النصف الثانى من القرن الثانى ق. م تتمثل في تأثير الشرق الهيلينستي علي العقليه الرومانيه، حيث إنه في القرن الثاني ق.م غزا الرومان بلاد اليونان فتحولت إلي ولاية رومانية، ورد اليونان علي هذا الغزو بغزو فكري وثقافي كان أشد تاثيراً من السلاح العسكري، حيث أن الأسرى اليونانيين الذين حملوا إلي روما استطاعوا بعلمهم وفلسفتهم أن يحكموا ويغزوا عقول الرومان وظهر هذا الغزو الثقافي في شكل الفلسفات اليونانية خاصة الفلسفة الرواقية والفلسفة الابيقوريه اللتان وجدتا لهما معجبين بين القادة والمثقفين الرومان، وكانت الفلسفة الابيقورية Epicus فلسفة ريفية تخاطب البسطاء من الرومان انتشرت أولا في الريف الإيطالي ثم بعد ذلك في مدينة روما، وكانت الأبيقورية تدعو إلي التخلي عن الطموح السياسي والظهور وتهتم بالفرد أكثر مما تهتم بالدولة والنظم، ولم تلقي مبادئ الأبيقورية أي قبول

---

(١٩٤) رستوفتزف، المرجع السابق، ص ص ٤٨-٤٩.

([١٩٥]) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق ، ص ص ١٩٥ – ١٩٦

من المثقفين الأرستقراطيين الرومان، ومن أنصار الابيقورية من الرومان تيتوس بومبيوس أتيكوس Titus Pomponius Aticus صديق شيشرون الوفي، وبدعوة المذهب الأبيقوري إلي التحرر من الخوف والقلق ataraixs أدى ذلك إلي جلب الهدوء والسكينة في نفوس الرومان المضطربة.

أما الرواقية stoicism فكانت تدعو إلي أن الكون يحكمة عقل إلهي لا يخطئ أبدا وتنادي الرواقية بالفضيلة virtus والفضيلة هي التفانى في أداء الواجب، وبذلك تكون الرواقية تقوم علي العقل والواجب وهما المحوران اللذان تقوم عليهما الرواقية، ومن أنصار الرواقية سكيبيو إيمليانوس Scipio Aemelianus وكان الأرستقراطيين من اكثر الرومان تشجيعا للرواقيين، ومن الذين قاموا بتطبيق الأفكار الرواقية ونقلها من الحيز النظري إلي الحيز العلمي "سكايفولا" "وكاتوالأصغر"، حيث أن سكايفولا عند زيارته لآسيا تفاني في تطبيق العدالة والحق، وحارب استغلال جامعي الضرائب من رجال الفرسان للأهالي، وبالإضافة إلي ذلك مهدت الأفكار الرواقية التي تحدثت عن العدل والحق والمساواة لجيل من الثوار أو المصلحين التشريعيين، وبذلك بدأت الأفكار الرواقية تحرك القادرين من الزعماء الرومان للتفكير في التغيير الشامل من أجل تحقيق مستقبل أفضل([١٩٦]).

كلمة أخيرة كانت الأسباب السالفة الذكر من أسباب اجتماعية وإقتصادية وسياسية باعثاً لقيام ثورة قوضت أركان نظام الحكم الجمهوري ووضعت نهاية لهذا النظام الذي سيطرت فيه الأقلية علي مقاليد الحكم في الدولة الرومانية، حيث سقطت الجمهورية ٢٧ق.م، وقيام نظام حكم جديد هو نظام الإمبراطوريه.

أولا : مقدمات الثورة :

وصفت هذه الثورة بأنها عاصفة A strom كانت قد سبقتها مقدمات مستفزة تسبب فيها بشكل رئيسي الحروب الأسبانية وتجاوزات الرومان هناك لإحكام قبضتهم علي هذهالإقاليم من الولايات الرومانية الخارجية، وكان الأهم والأخطر هو انعكاسات ذلك كله علي المجتمع الروماني داخل روما نفسها، إذا تطور الصراع الداخلي إلي درجة عدم إطاعة السلطات الرومانية الشرعية كما تؤكد الوقائع التاريخية ذلك التي ذكرها الدكتور محمود السعدنى وهى:

ففي عام ١٥٥ق.م. قام مجموعة من عامة الشعب Plebs بسجن القناصل Consules ، وكان ذلك بمساعدة نقباء العامة فأي إهانة لإدارة الحكومة عندما يقوم الشعب بفرض إرادته علي رموز الحكومة (القناصل) وكان ذلك نتيجة لفرض ضرائب جديدة علي الجميع.

([١٩٦]) سيد أحمد علي الناصري، ص ١٩٦ – ٢٠٣.

قيام نقيب العامة جابينيوس (Gabinius) عام ١٣٩ق.م. بتقديم مذكرة مشروع قانون تنص على الاقتراع المفتوح بدلا من النظام القديم للانتخابات ، وذلك ضمانا لاستقلالية القرار داخل الجمعية الشعبية Comitio Plebistica.

نقيب العامة في عام ١٣٧ ق.م كاسيوس لونونجينوس Cassius Longinus نقيب العامة لعام ١٣٧ ق.م تقدم باقتراح ينص على استغلال قانون جابينيوس واستطاع بالفعل الاستفادة منه عن طريق سريان مفعولة علي الجمعيات الشعبية التشريعية ، وهذا يعني سرعة اتخاذ القرارات الشعبية دون تدخل مجلس السناتو ممثل الأرستقراطية الرومانية([١٩٧]).

ويمكننا أن نقسم الثورة إلي ثلاث مراجل رئيسية طبقا لنوعية الأحداث التي جرت علي كل مرحلة من هذه المراحل الثلاثة ، أولها مرحلة الإصلاحيين الاجتماعية، والمرحلة الثانية مرحلة الحروب مرحلة الحروب الأهلية ، والمرحلة الثالثة هي مرحلة التكتلات العسكرية.

المرحلة الأولى: مرحلة الإصلاحيين الاجتماعيين :

كان استقرار الأحوال النابع من الدستور المختلط في رأي بوليبيوس Polybius هو المأثرة الكبرى للجمهورية الرومانية ، ولا شك في أن الفترة الطويلة التي تولى خلالها مجلس الشيوخ Senatus السيادة عقب الحرب البونية الثانية كانت تتميز بهدوء لم يسبق له مثيل في شئون السياسية الداخلية وكان هذا الهدوءمثل الهدوء الذى يسبق العاصفة – التي دامت قرنا من الزمن – ولم تنتهي إلا بعد زوال النظام الجمهوري نفسه([١٩٨]). فبعد انتهاء الحرب البونيه سيطرالسناتو والأرستقراطية علي مقدرات الشعب الروماني ، فجاء الانفجار الاجتماعي في بداية الأمر من العبيد([١٩٩]) الذين قاموا بثورات متتالية ، حيث كانت أول ثورة للعبيد قد قامت في لاتيوم Latuim وقام بها مجموعة من العبيد الرعاة واستطاع قناصل ١٤٣ إلي ١٤١ ق.م باستخدام القوات العسكرية ان يقمعوا هذه الثورة ، وكذلك الثورة العنيفة للعبيد التى قامت في عام ١٣٦ ق.م. واستمرت خمس سنوات إلي أن استطاعت القوات الرومانية الإجهاز عليها في عام ١٣٣ق.م وفي نهاية القرن الثاني ق.م. كانت توجد في روما ثلاثة أحزاب سياسية هى: حزب المحافظين المعتدلين Conserative liberal وتكون هذا الحزب من أمثال "سكيبيو ايميليانوس" Scipio Ameilianus قاهر قرطاجة الذي كان يقوم بإعداد إصلاحات معتدلة إرضاء طموح قواته العسكرية، والحزب الثاني وهو حزب الإصلاحيينReformers من أمثال

([١٩٧]) محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص ص ٩٨ – ٩٩

([١٩٨]) دونالد دولي، المرجع السابق، ص ١٠٥ .

([١٩٩]) محمود إبراهيم السعديني، المرجع السابق، ص ٩٩.

زعيم السناتو أبيوس كلاوديوس بولكر Appius Cloudius Pulcher وتيبريوس جراكوس Tiberius Gracchus الذي كان متأثراً بالفلسفة الرواقية، والحزب الثالث كان يتكون من Conservativesالمحافظين من أمثال سكيبيو ناسيكا (Scipio Nasica) pontifex maximus الذين وضعوا حماية وأمن الدولة في المقام الأول وكانوا مستعدين أن يدافعوا عن الشرعية بكل الوسائل والتكاليف، حتى ولو استخدمت القوات العسكرية، وفي هذا الوقت كانت مشكلة الأراضي قد أحدثت جدالاً عظيمًا في روما وإيطاليا بين الذين كانوا يريدون أن يحموا مصالحهم وبين الذي طالبوا بالعدالة فى توزيع الأراضي وأول مصادرنا عن مشكلة الأراضى جاء عند ابيان فى مؤلفه إيطاليا لصالح كبار ملاك الأراضي الزراعية، فانهيار ضغار المزارعين الأحرار الذين كانوا يمثلون العمود الفقري في تكوين الجيش الروماني حيث كان يقوم الجندي بتزويد نفسه بما يلزمه من سلاح ومعدات علي حساب نفقته الخاصة، وكانت الخدمة العسكرية عبئا ثقيلا أثقل كاهل المزارعين وكان علي الجندي أن يخدم في عشرين حملة قبيل أن يعتزل الخدمة في القوات العسكرية([٢٠٠]).

وفي هذا الوقت ظهر تيبريوس بيرونوس جراكوس الذي كان ينتمي إلي النبلاء Nobilis حيث تولى جده لأبية القنصلية في عام ٢١٥ق.م. وكان جده لأمه سيكيبو أفريكاتوس قاهر هانيبال، ووالدة كان تيريوس سيكيبو أفريكاتوس الذي تولى القنصلية مرتين، وكانت أمة كورنيليا Cornelia سيكيبو افريكاتوس وهي سيدة فاضلة عرفت بثقافتها وبلاغتها([٢٠١])، وكان لهذه السيدة عظيم الأثر علي طفليها جتريوس، وجابوس جراكوس، وأختها سميرونيا وهما الثلاثة أطفال الذين بقواعد الحياة بعد وفاة أطفالها الإثنى عشر فبعد وفاة الأب تحملت كورنيليا مسئولية رعاية وتربية الأبناء حيث رفضت عرض الزواج الذي تقدم به إليها من مصر بطليموس الثامن، وكانت كورنيليا من أعظم نساء العصر الجمهوري حيث غرست في أبنائها أرفع الصفات الرومانية والثقافية الإغريقية، فأحضرت لهم المدربين لدراسة الخطابة والفلسفة، فدرس تيبريوس الفلسفة علي يد الفيلسوف بلوسيوس Bassies ودرس الخطابة علي يد ديوفانيس Diphanes . وعندما بلغ العاشرة أنضم إلي جماعة العرافين ومن صغره ظهرت عليه علامات الذكاء حيث أن زعيم السناتو أبيوس كلاوديس بولكر Appiu claidius pulcher قبل أن يزوجه أبنته كلاوديا Claudia وعندما بلغ السابعة عشر خدم تحت قيادة سكيبو ايمليانوس زوج أخته سمبرونيا في أسبانيا، وكان أول منصب تولاه تيريوس هو الكوايسورية عام ١٣٧ ق.م([٢٠٢]).

([٢٠٠]) Glay. M., A history of Roma, 2end, Blacwell, oxford, 2001, p,103

([٢٠١]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٢٠٧-٢٠٨.

([٢٠٢]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ١٩.

لذلك تولى تيريوس جراكوس نفسه التربوية العامة لعام ١٣٣ ق.م. عندما رأى كثيرة من المسائل تحيط بالدولة مثل هبوط الروح المعنوية في الجيش وتبرم الفقراء وطبقتهم والخطر الناجم عن العبيد الأجانب، ومساوئ إنشاء الإقطاعيات الكبيرة علي حساب صغار المزارعين الأحرار، وكان الحل في ذلك عند تيريوس هو إعادة توزيع الأراضي وبعث قوة الفلاحيين من جديد، ولكن لم يكن تنفيذ برنامج الإصلاح الزراعي الأعلى أساس من التأييد الشعبي، ولذلك رشح نفسه لمنصب تريونية العامة لنفسه وأنتخب تربيونا لعام ١٣٣ ق.م. ولم يكن الشعب الروماني قد رأي زعيما مثله قرنا بأكمله، بل حتى من الشذرات التي وصلتنا من خطب تيبريوس يتضح لنا أن هذا الرجل كان من أعظم الرجال الذين يقاتلون ويلقون حتفهم من أجل إيطاليا، لذلك تقدم تيريوس جواكوس إلي الجمعية بمشروع قانون للإصلاح الزراعي، ولكننا سنؤجل الحديث عن مشروع هذا القانون حتى نتعرف أولا علي الدوافع التي دفعت تيريوس إلي الإصلاح، وترجع هذه الدوافع إلي الأحداث التي تعرف لها تيريوس قبل ان يتولى تربونية العامة، ففي أثناء ذهابه من روما إلي أسبانيا مارا بإقليم اتروريا Etruria شاهد تيريوس الأرض التي طرد منها مزارعوها الفلاحين تمهيدا لتكون الإقطاعيات الكبرى المكتظة بالعبيد الذين كانوا يعاملون بقسوة ووحشية، وكذلك تورطة في أسبانيا في كارثة حربية حينما اضطر جيش روماني يعوزه التنظيم الحربي إلي التسليم تحت إمرة القائد مانكينوس Mancinus الذي كان يفتقد إلي الحبكة العسكرية، فأضطر تيريوس إلي التوسط بين الأسبان والرومان وعقد معاهدة، ولكن مجلس الشيوخ رفض هذه المعاهدة ولم يقرها، وعندما عاد من حصار نومانتيا بأسبانيا إلي روما وجد فقراء المدينة يتأججون غيظا وضيقا ولكن دون أدنى شك أنه بالإضافة إلي العوامل السابقة التي أثرت في تيريوس جراكوس دفعته إلي الإصلاح، هناك عاملان أساسيان وراء ظهور مشروعه الأخلاقي وهي: فلسفته الرواقية (stoic)، وتربيته الرواقية([٢٠٣]).

مشروع تيبريوس الإصلاحي:

كان تيبريوس يحظى في مجلس الشيوخ بتأييد مجموعة من الأعضاء مثل أبيوس كلاديوس وكراسوس وموكيناي ومشروع القانون الذي تقدم به تيريوس إلي الجمعية العامة Assebly لم يعد أكثر من كونه إعادة إحياء لقانون سابق وهو قانون ليكنيوس سيكينوس Lex licinia sextia الصادر في عام ٣٦٧ ق.م. وكانت بنود مشروع تيريوس الإصلاحي الآتي: الحد الأقصى المسموح به للحيازة من الأرض العامة (٥٠٠) يوجيرا للفرد مع السماح لكل ابن من ابنائه الثلاثة بحيازة نصف هذه المساحة، أن تقوم الدولة بتوزيع الأراضي الزائدة على فقراء الرومان دون غيرهم (الحلفاء) بشرط إلا يبيعوها. أن تنتخب لجنة ثلاثية Tresvire agris

([٢٠٣]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني ص ١٩-٢٠.

wdicandis adsignandis لتحديد الأراضي الواجب استردادها وتتولى توزيعها علي المستحقين([٢٠٤]).

جبهة المعارضة :

وجاءت معارضة المشروع علي يد أعضاء السناتو الذي كانوا يعارضون أي تغيير في الأوضاع القائمة ومن كبار ملاك الأراضي الذين كانوا متمسكين بأرض الحيازة لانهم توارثوها عن أجدادهم وهدد هذا المشروع مصالح الكثير من حلفاء روما اللاتينيين والإيطاليين خاصة ما أنطوى عليه البند الثاني، وفي هذا الوقت تكونت اللجنة الثلاثية من تيبريوس ومن أبيوس كلادويس ومن جايوس جراكوس وبدأت في عملها، واستطاع السناتو في ذلك الوقت أن يقنعوا أوكتافيوس التريبون زميل تيريوس جراكوس باستخدام حق الفيتو للاعتراض علي مشروع القانون، علي أن تيريوس كان لدية مستشاريه اليونانيين الذين كانوا يساعدونه في الخروج من مأزق يقع فيه فقام تيريوس بتطبيق النظرية الديموقراطية اليونانية القائلة بأن إرادة الشعب في صاحبة السيادة، وبذلك خلع تيريوس أوكتافيوس وأصدر القانون وبدأت لجنة الإصلاح الزراعي تمارس عملها([٢٠٥]).

وعندما فشل السناتو في التصدي إصدار قانوني الأراضي، فإنه رفض تخصيص الاعتمادات المالية اللازمة لاستمرار أداء عمل لجنة الإصلاح الزراعي، وخاصة بعد وجية أتاللوس الثالث Attalus III ملك برجاموم Pergamum بميلته إلي الشعب الروماني، لذلك اتجه تيريوس إلي الجبهة القبلية وتقدم بمشروع قانون لتخصيص جزء من أرث أتاللوس لمقاومة من مقابل وعد الجمعية القبلية بتقديم مشروع بتوليها تنظيم وإدارة برجاموم، وإزاء هذا التهديد وافق السناتو علي تخصيص الاعتمادات المالية اللازمة للقانون([٢٠٦]).

ومع قرب انتهاء تربونية عام ١٣٣ ق.م. عزم تيريوس علي إعادة ترشيح نفسه لتربونية عام ١٣٢ق.م. وذلك كي يقوم باستكمال تنفيذ قانون الأراضي وكي يحمي نفسه من المحاكمة لذلك قررت الإدارة الأولوليجاركية القضاء علي تيريوس فطالبت من القنصل سكايفولا إعدام تيبريوس لكنه رفض ذلك، فقام فريق من رجال السناتو المتطرفين يتزعمهم ناسيكا Nasica

---

([٢٠٤]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ٢١-٢٣.

([٢٠٥]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ٢٧-٢٩.

([٢٠٦]) المرجع نفسه، ص ٣٢.

ومعهم أتباعهم وعبيدهم servi إلي الفورم الروماني ودارت معركة حامية الوطيس قتل فيها تيبريوس وثلاثمائة من اتباعهم([٢٠٧]).

تربونية جايوس جراكوس:

كان جايوس أصغر من أخية تيبريوس بتسع سنوات، وكان عضواً في اللجنة الثلاثية، وبدأ جايوس يتنقدم بخطى مرسومة ودقيقة علي الرغم إنه كان يعرف أن هذا السلوك سيعرضه للهلاك، فرشح نفسه للتربونية العامة لعام ١٢٣ق.م. وكان جايوس متحيزاً إلي الشعبيين منذ صغره حيث أيد أقتراح "جاربو" نقيب العامة بإعادة انتخاب ترانية العامة، وكذلك كان معارضاً لقانون "نيوس" بطرد الحلفاء من روما، وأقدم جايوس علي ترشيح نفسه لتربونية عام ١٢٣ بالرغم من معارضة أمه له.

ظهور الحزب الديموقراطي :

كي يبدأ جايوس بتنفيذ قانون الإصلاح الزراعي عمل علي تكوين جبهة من الناقمين علي النبلاء وضمت هذه اللجنة صغار المزارعين الأحرار، ودهماء المدينة، ورجال طبقة الفرسان والحلفاء الذين كانوا يتطلعون إلي الحصول علي حقوق المواطنة الرومانية واجتمعت كل هذه الطبقات علي هدف واحد وهو القضاء علي سيادة مجلس الشيوخ الفترة من ١٢٣ –١٢٢ ق.م. بصدور تشريعات قوية لم تكن تسهدها روما حتى دكتاتورية يوليوس قيصر، وتصدى النبلاء لمقاومة جايوس جراكوس عن طريق الإيعاز إلي زميل آخر في استهواء الجماهير وهو التربيون "ليفيوس دروسوس" الذي قام بإصدار مجموعة من القوانين لصالح العامة مثل قانون إنشاء أثنى عشر مستوطنة في إيطاليا، وقانون للحلفاء يحرم إساءة معاملة الجنود الإيطاليين، وكان للقوانين التي أصدرها دروسوس أثر سلبي علي شعبية جايوس([٢٠٨]).

برنامج جايوس جراكوس :

حيث يعد تكوين جايوس للجبهة التي يمكن أن ستند إليها في صراعة مع النبلاء قام باصدار مجموعة من مشروعات القوانين التي كانت تهدف إلي الحد من سلطة السانو وتحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الدولة، ومعالجة إنهيار الطبقة الوسطى، وإيجاد حل لمسألة الحلفاء.

([٢٠٧]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٢١٧.

([٢٠٨]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٢٣٠–٢٣١.

وكانت مجموعة القوانين التي صدرت استفادت منها طبقة العامة مثل قانون القمح Lex Frumentaria الذي قضي بأن تشترى الحكومة القمح بكميات كبيرة وتودعها في ميناء اوستيا وبتعيين ٣/١ ٦ آس للمواطنين الرومان، وكان من شأن هذا القانون تخفيف الأعباء عن الفقراء، وكذلك استفادت طبقة الفرسان من تشريعات جايوس حيث أصدر قانونا يقض باختيار محلفين محكمة الابتزاز واسترداد الأموال من أفراد طبقة الفرسان، وأصبحت طبقة الفرسان، وقد أدى هذا القانون إلي اشتغال الصراع بين طبقة السناتو وبين الفرسان، وأصبحت طبقة الفرسان منذ عهد جايوس جراكوس قوة سياسية اجتماعية كبيرة في الدولة([٢٠٩]).

أما مسألة الحلفاء الإيطاليين فقد عرض اقتراحات نتيجة لتوسيع نطاق الامتيازات التي كانت ستمنح حقوق المواطن الرومانيين لجميع اللاتينيين وتمنح حقوق المواطنة اللاتينية لجميع سكان إيطاليا حتى جبال الألب ، لكن هذا المشروع كان قد قوبل من جميع طوائف المتجمع الروماني بالمعارضة واستغل السناتو وليفيوس دروسوس مشروع جايوس الخاص بالحلفاء في إثارة العامة ونجح دروسوس في تحريض الجمعية القبلية علي رفض المشروع، وعندما أراد جايوس أن يعيد انتخاب نفسه تريبوناً للعامة للمرة الثالثة فشل في الترشح لانتخاب التريونية، وبذلك سقطت الحصانة عنه، وشعر أنه مجرد رجلاً عاديًا، وكون حراسة لحماية نفسه من رجال السناتو، وحدث في ذلك الوقت أن حراسة قاموا بقتل أحد أتباع القنصل لوكيوس أوبيمويس Lucius Opimius فاستصدر هذا القنصل قرار السناتو النهائي senatus consultum ultimum بمثول جايوس جراكوس و فوليفوس فلاكوس Fulivus Flaccus زعماء الحزب الجراكي أمام السناتو للمحكمة، ولكنهم هربوا وتحصنوا في تل الافنيتن Aventine وهاجم القنصل أوبيموس تل الافنيتن وحملت رأسي فلاكوس وجايوس إلي القنصل([٢١٠]).

نشاط اللجنة الثلاثية في الفترة من ١٣٣-١٢٠ ق.م. :

حيث ظلت لجنة الإصلاح الزراعي تباشر عملها أربعة عشر عاما إبتداء من ١٣٣-١٢٠ق.م. وقد جردها "سيكيبو إيمليانوس" في عام ١٢٩ق.م. من سلطاتها القضائية بناًء علي طلب الحلفاء الإيطاليين، وتولى عضوية اللجنة ثمانية أسماء فقط طوال هذه الفترة واستطاعت اللجنة أن تعمل بنشاط فعال، ولقد قدر تيني فرانك Tenny Franl أن خمسين ألفًا شخص علي الأقل قد حصلوا علي ما لا يقل عن ٦.٠٠٠.٠٠٠ يوجيرا من الأرض التي أعيد توزيعها،

([٢٠٩]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ١٠٧.

([٢١٠]) هـ.ج ويلز، المرجع السابق، ص ٥٨٠.

أي حوالي سبعة في المائة من مساحة الأرض العامة ager publicus بذلك تكون اللجنة قد وجهت صفعة قوية إلى أصحاب الإقطاعيات الكبيرة([٢١١]).

واستطاع الرومان في سنة ١٢١ق.م فتح بلاد الغال البعيدة (فرنسا) إلى أملاكهم، واتبعوا سياسة الوقوف مع بعض القبائل ضد القبائل الأخرى، لكن هذه السياسة فشلت، وعندما قامت إحدى هذه القبائل بطلب النجدة من يوليوس قيصر، هب على رأس جيش روماني وأنتصر على الهلفيتي لكنه نصر غير نهائي، وأستطاع أن ينتصر على الجرمان سنة ٥٨ق.م ويهزمهم هزيمة ساحقة، وأستطاع ضم أراضي البجيك إلى أملاك الشعب الروماني في سنة ٥٧ق.م، وقام بغزو ألمانيا وبريطانيا سنة ٥٥ق.م(٢١٢).

المبحث الحادي عشر: نهاية النظام الجمهوري وقيام الإمبراطورية الرومانية

بوفاة جايوس جراكوس إنتهت مرحلة الإصلاحيين الاجتماعيين، الذين حاولوا الإصلاح عن طريق إصدار القوانين والتشريعات، وتبدأ مرحلة جديدة فيها حمل لواء الثورة القادة العسكريين، وقد أتسمت هذه المرحلة بالعنف والحروب الأهلية، وكذلك شهدت هذه المرحلة انفجار مشكلة الحلفاء الذي قاموا بثورة ضد الدولة الرومانية التي عانت من ويلاتها إيطاليا بأكملها لمدة ثلاث سنوات، فكما جاء عند "دونالد دولي" أصبحت الانقسامات التي نشبت داخل الدولة عميقة ولا يمكن معالجتها، وكان الصراع الحزبي لا ينقطع كما أن الحرب الأهلية أدت إلي إدخال أساليب جديدة علي السياسية الحزبية، وفضلاً عن ذلك أدت إلي تركيز سلطات غير عادية في أيدي أبطال الحرب، ويقصد بذلك قنصليات "ماريوس" ودكتاتوريات "سوللا" و"قيصر"([٢١٣]).

الحرب ضد يوجورتا:

وفي هذا الوقت خاضت روما قتالاً عنيفاً في شمال أفريقيا ضد يوجورتا الذي كان يهدد سلامة الدولة الرومانية، حيث بدأ هذا القتال عام ١١١ق.م. وانتهى ١٠٥ق.م.، لكن دون أدنى شك كان للظروف الخارجية تأثير كبير علي الوضع الداخلي في روما وما بها من صراع حزبي، فقد أفرزت هذه الحرب مجموعة من القادة العسكريين الذين دخلوا في صراعات مع بعضهم

([٢١١]) دونالد دولي، المرجع السابق ، ص ١٠٩.

([٢١٢]) محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص ١١٢-١١٣.

([٢١٣]) دونالد دولي، المرجع السابق، ص ١١٣.

البعض بعد أن انحاز بعضهم إلي حزب ضد حزب آخر ومن أبرز هؤلاء القادة العسكريين "جايوس ماريوس" و"سوللا"([٢١٤]).

تأثير حرب يوجورتا علي الصراع الحزبي :

حيث أظهرت مذبحة "قيرتا" مدى تقاعس السناتو عن إتخاذ اللازم نحو إتهام قادة السناتو العسكريين بالرشوة والعجز في إنهاء الحرب ضد "يوجورتا"، وفي ذلك الوقت انضم الفرسان إلي العامة في مناهضة النبلاء، حيث استطاع الفرسان تعضيد "ماريوس"، وبذلك استطاع ماريوس الفوز بقنصلية سنة ١٠٧ق.م. وإسناد القيادة ضد "يوجورتا" إليه، وكان في ذلك تحدى سافر للسناتو والنبلاء حيث أن السناتو أسند القيادة من قبل إلي "ميتيللوس" وبذلك أصبح الشعب هو المنبع الحقيقي لإصدار السلطات، وظل الرومان فترة كبيرة بعد إنتهاء الحرب يعزو كل حزب من الأحزاب الفضل في القضاء علي "يوجورتا" إلي حزبه، حيث كان "سوللا" وأصدقاءه يروجون في غضون ذلك لقصة فحواها أن "ماريوس" نسب إلي نفسه دون وجه حق فضل إنهاء الحرب في أفريقيا زاعمين أن قائدهم العجوز ميتيللوس Metellus هو الذي قام بمعظم القتال وأن "سوللا" هو الذي أتمه، وكان بهذه القصة نصيب من الصدق ولكنه ضئيل([٢١٥]).

فالنبلاء كانوا يرجعون الفضل في الانتصار علي يوجورتا إلي "ميتيللوس" و"سوللا"، أما العامة فيرجعون الفضل إلي "ماريوس"، ولكن إحقاقاً للحق أن الفضل يعود إلي القادة الثلاثة فالقائد "ميتلليوس" عمل عملية تمهيدية للنصر و"ماريوس" بانتصاراته العسكرية أرعب "يوجورتا" ولولا هذه الانتصارات ما كان "بوكوس" يقوم بخيانه "يوجورتا"، ولولا ذكاء ودهاء "سوللا" ما كانت الحرب تنتهي ضد "يوجورتا"([٢١٦]).

ماريوس:

([٢١٤]) عبد اللطيف أحمد علي ، التاريخ الروماني "عصر الثورة من تيبرويوس جراكوس إلي أوكتافيوس أغسطس ، بدون طبعة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٤٥.

([٢١٥]) ركس وارنر ، قيصر الصغير ، ترجمة رشدي السيسي و محمد صقر خفاجة ، الألف كتاب ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ٣٦ .

([٢١٦]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٩٠.

وظهر "ماريوس" في ذلك الوقت كزعيم للشعبيين وهو من "أربينوم" Arpinum من أسرة متوسطة الحال([٢١٧])، ولم يذهب للتعليم، وأنضم إلي الجيش وترقى فيه بداية من جندي حتى وصل إلي منصب قيادة جيش روماني، وأرتبط عن طريق المصاهرة بإحدى الأسر الأرستقراطية وهي أسرة ميتللتوس metelli حيث ساعدته هذه الأسرة كثيراً حتى وصل إلي منصب نقيب الفرقة Tribunus militaris ثم ترك "ماريوس" الجيش وسلك سلك الوظائف العامة وتولى الكوايستورية ١٢١ ق.م. حيث تقدم ماريوس بمشروع قانون يهدف إلي منع التأثير علي المواطنين عند الإدلاء بأصواتهم، وقد قابل السناتو والنبلاء هذا المشروع بالرفض وزيادة علي ذلك قام القنصل "لوكيوس كوتا" Cotta و"ميتيللوس" في قنصلية ١١٩ ق.م. بإقناع السناتو بإستدعاء "ماريوس" للمثول أمام مجلس السناتو، واحتدم النقاس في السناتو وإنحاز "ميتيللوس" لزميله القنصل وللنبلاء، فما كان من "ماريوس" إلا أن قبض علي القنصلين واستصدر قانونه Lex Maria Tabdlaria ، وبذلك فقد ماريوس طبقة النبلاء وأصبح في عداء واضح معهم، وكسب تهليل وود طبقة العامة، وبعد أن خسر ماريوس تأييد أسرة "ميتيللوس" الأرستقراطية تزوج من "يوليا" julia أبنه "سكستوس قيصر" قنصل ٩١ ق.م([٢١٨]). وفي عام ١١٠ ق.م أرسل الرومان حملة ضد يوجورتا في أفريقيا تحت قيادة القنصل كالبورينوس بيستا L. Capurninus Bestia واستطاع في ذلك الوقت يوجورتا إذلال الجيش الروماني وهزيمته في ١٠٩ ق.م ولعبت الرشوة دوراً كبيراً في هذه الهزيمة، مما حدا بنقيب العامة مانيليوس ليميتانوس (manilius limetanus) إلي أقتراح محاكمه المرتشين والمتواطئين مع يوجورتا فوافقت الجمعية القبلية على الأقتراح، وأدانت أربعة من ذوي المرتبة القنصلية في الرشوة وحكم عليهم بالنفي خارج البلاد، وعندما أسندت القيادة إلي ميتيللوس (O Caecillius metellus) وهو قائد من الأشراف، كان يعمل تحت قيادة ماريوس كقائد مساعد Legatus ولكن ماريوس كان يدرك مدى ضعف الأشراف والهزائم التي تعرضوا لها، لذلك قرر ترشيح نفسه لقنصلية عان ١٠٧ق.م. وأن يضع حداً للحرب ضد يوجورتا تلك الحرب التي لم تكن لها نهاية، وكان ذلك بفضل جيش المتطوعين الجديد الذي تم إعداده بين فقراء روما والذي قام ماريوس بنفسه بتدريبه علي الأساليب الحربية الجديدة([٢١٩]).

([٢١٧]) سيد أحمد علي الناصري، تاريخ الرومان (من القرية إلي الأمبراطورية)، دار النهضة العربية ، (بدون طبعة) ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص٢٤١.

([٢١٨]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان ، الجزء الثاني، ص ١٦٠-١٦١.

([٢١٩]) عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ، ص ص ٤٨ – ٤٩ .، إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ١٧٣-١٨٥.

إصلاحات ماريوس العسكرية :

أعاد ماريوس تنظيم الجيش وغير طريقة تسليحه وتدريبه وأسلوب قتاله ونظامه حيث فتح باب التجنيد علي مصرعية للمواطنين الفقراء Proletarii من كافة أنحاء الإمبراطورية، هؤلاء المواطنين كانوا في الماضي خارج الخدمة العسكرية بسبب عدم إستيفائهم للنصاب اللازم Capite censi للخدمة العسكرية، ولكن كما سوف نرى لاحقاً أن هذا الإجراء جعل من الخدمة العسكرية حرفة للكثير من المواطنين، وفضل الكثير من الفقراء العاطلين قضاء أكبر فترة في الجيش، وأصبح ولاء الجندي ليس للدولة ولكن لقائده الذي يعطيه النمح والهبات، وبفضل هذه الإصلاحات العسكرية استطاع "ماريوس" أن ينتصر علي "التيوتون" = teutoni teutones في "نبع سكستياي" aquae sextiae في عام ١٠٢ق.م. وكذلك تحقيق الانتصارات ضد "الكمبري" Cimbri بمساعدة زميله "لوكاتيوس كاتولوس" Lotatuis Catulus في عام ١٠١ق.م. عند الطرف الشمالي الشرقي لإيطاليا([٢٢٠]).

سطوع نجم الديموقراطيين:

أساءت الحروب مع يوجورتا إلى سمعة حزب الأرستقراطيين optimates وقللت من مكانته، خاصة بعد الهزائم التي متى بها قواد هذا الحزب أثناء غزوات الكمبري والتيوتون، أما علي الجانب الأخر فإن الحزب الشعبي الديموقراطي سطع نجمه بقيادة "ماريوس" والزعماء الشعبيين المتطرفين أمثال "جلاوكيا"، و"ساتورنيوس"، فقد استطاع في هذه الفترة نقيب العامة "جلاوكيا" في عام ١٠٤ ق.م. استصدار قانون يلغي قانوناً كان قد نص علي جعل المحلفين في محاكم الابتزاز من أعضاء السناتو بدلاً من الفرسان، وأستمر جلاوكيا وساتورنيوس في استصدار القوانين التي حطت من منزلة الحزب الأرستقراطي وأعضاء السناتو، واستطاع ماريوس أن يتولى منصب القنصل أربع مرات متتالية منذ ١٠٧-١٠٤ق.م. وما كانت هذه القنصليات الأربع لماريوس إلا ديكتاتوريات عسكرية، وكان الخطر الصادر عن الكمبري والتيوتون هو المبرر لتولي ماريوس القنصلية أربع مرات، ولكن بعد زوال الخطر لم يكن ماريوس علي إستعداد للتخلي عن هذا المنصب، فقد كان طموحه الشخصي متطرفاً كما كان يؤمن بنبؤة قالت أنه سيتولى منصب القنصل سبع مرات، ولكن قدراته السياسية كانت ضئيلة، حيث تحالف مع جلاوكيا Glaucia وساتورنينوس saturninus الديموقراطيين المتطرفين ليتولى القنصلية للمرة السادسة في عام ١٠٠ق.م، وبالفعل استطاع ماريوس تولى القنصلية سبع مرات، المرة السابعة

([٢٢٠]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ٢٠٠-٢٠٥: سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٢٤٥-٢٤٩.

كانت سنة ٨٦ق.م، وهذا الأمر لم يكن له مثيل من قبل ولا بعد، توفي ١٣ يناير ٨٦ق.م، وهو اول سياسي وقائد روما يعتمد اعتماد كلي على دعم قدامى جنوده المحاربين للوصول إلى السلطة([٢٢١]).

اشتعال الصراع بين النبلاء والفرسان:

عندما كان يحكم "سكايفولا" ولاية آسيا في عام ٩٤ق.م. كان "بوبليوس روتيليوس روفوس" مساعداً له Legatus وكان "روفوس" رجلاً جديداً من النبلاء ويتسم بالاستقامة والنزاهة، ولذلك عمل علي حماية أهالي الولاية من جشع جباة الضرائب والمصرفيين والتجار، مما كان يؤثر علي أرباح الفرسان، الذين قاموا بإتهامه بابتزاز أهالى الولاية، وصدر عليه الحكم بغرامة لا تكفي ثروته الخاصة لسدادها، وعلي الرغم مما عرضه عليه أصدقاءه من هدايا وقروض لدفع العجز فقد رفض عروضهم، وفضل أن يعيش بقية حياته في المنفى وأختار لإقامته في ولاية آسيا، وقد هدف رجال طبقة الفرسان من محاكمة روفوس استعراض قوتهم وتلقين النبلاء درسًا لاينسوه بان لا أحد يستطيع اعتراض قوة الفرسان، الذين أصبح لهم كيان ووجود سياسي علي المسرح في روما منذ عهد جايوس جراكوس الذي عهد إليهم بالعمل كمحلفين في محكمة الابتزاز والسترداد الأموال([٢٢٢]).

دروسوس الصغير وتزعمه للأرستقراطيين:

ولد "دروسوس" ١٢٤ق.م، هو "ماركوس ليفيوس دروسوس الصغير" Marcus livius drusus وهو ابن التربيون "دروسوس" المعاصر لـ "جابوس جراكوس" الذي تولى التربونية ١٢٢ق.م، عندما تولى دروسوس الصغير التربونية سنة ٩٢ق.م، كانت أهدافه الإصلاحية تدول حول هدفين هما إعادة هيبة السناتو وسلطاته والدعوة إلي منح المواطنة الرومانية لجميع الإيطاليين، لذلك اقترح "دروسوس" مشروع قانون بزيادة عدد أعضاء مجلس السناتو ٣٠٠ عضوًا، ليصبح عدد المجلس ٦٠٠عضوًا، وأن تكون عضوية محكمة أسترداد الأموال المبتزة من أعضاء السناتو والفرسان، واعتبار الرشوة أو الفساد جريمة يعاقب عليها القانون، بالإضافة إلي مشروع قانون يقضي بمنح حقوق المواطنة الرومانية للإيطاليين، ولكن قوبل مشروع "دروسوس" الخاص بالحلفاء بمعارضة شديدة من كافة طبقات المجتمع الروماني سواء من النبلاء أو من الفرسان أو العامة، وقام القنصل "ماركوس فيليبوس" بإلغاء كل القرارات التي سنها "دروسوس"، وتعرض "دروسوس" لمؤامرة حيث هاجمة رجل وطعنه ليلاً عند باب منزله في سنة ٩١ق.م،

([٢٢١]) https://www.britannica.com/biography/Gaius-Marius

([٢٢٢]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ٢٤٣-٢٤٤.

وهكذا مات أخر مصلحي روما العظام ومفكريها المثقفين الذي حاولوا الإصلاح عن طريق سن القوانين والتشريعات، وكانت النتيجة المباشرة لإغتيالة قيام الحروب الأهلية ٩١-٨٨ق.م أو ما يعرف بثورة الحلفاء الإيطاليين([٢٢٣]).

حرب الحلفاء الإيطاليين ٩١ – ٨٨ ق.م. :

يقول دولي " أن أنانية الرومانيين حققت ما عجز هانبيال عن تحقيقه، فقد أنحل الإتحاد الروماني وأنفصل الحلفاء من الإتحاد وتبع ذلك نشوب حرب أهلية دامية، وسميت هذه الحرب بـ "حرب الحلفاء الإيطاليين" حيث إنه لم يشترك فيها من الحلفاء اللاتينيين إلا مستعمرة لاتينية واحدة وهي مستعمرة فيوسيا (Venusia)، وكان من أهم أسباب قيام هذه الحرب فشل "دروسوس" في استصدار قانون يمنح حقوق المواطنة الرومانية للحلفاء الإيطاليين، فكان موته بمثابة القطرة التي أفاض منها الإناء، فكما قال عن هذه الثورة "فيليوس باتيركولوس" (vellius paterculus 2.15) ان إيطاليا كلها شهدت ثورة ضد نفسها "The whole of Itlay rise up against it"، أو كما سماها "ديودورس الصقلي" diodrus siculus بأنها الحرب العظمي Great ware ، ونشبت الثورة في اسكولوم Asculum عاصمة البيكيني Picini في شتاء ٩١ / ٩٠ ق.م، وعمل الثوار علي تكوين إتحاد من ثمانية شعوب وهو المارسي Marsi والباليجني Paeligni والفستيني Vestini والماروكيني Marrucini والفرنتاني Frentani والسميني والهيربيني hirpini وكانت عاصمة هذا الإتحاد مدينة كورفينوم Corfinum، واطلقوا على هذا الإتخاد الخاص بهم اسم إيطاليا وسكت عملة للدولة الجديدة، وقد عانت روما من ويلات هذه الحرب التي لم تنتهي إلا بإصدار مجموعة من التشريعات والقوانين التي تم بمقتضاها منح الحلفاء الإيطاليين حقوق المواطنة الرومانية لهم، بمقتضى قانون "بلاوتيوس بابيروس" Lex plautia papiria الذي منح الحلفاء الإيطاليين المواطنة الرومانية، وشملت هذه الحقوق جميع الإيطاليين الذي أنسحبوا من الثورة، ومثلوا أمام أي برايتور في روما خلال ستين يوماً، ولقد نجحت هذه الامتيازت في كسر شوكة مقاومة الإيطاليين، بينما لم تنجح القوة العسكرية في ذلك، ولم يواصل القتال إلا السامنيون، فقد كان من الصعب إرضائهم وهكذا كسبت روما

([٢٢٣]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٢٥٧. وأيضًا:

https://www.britannica.com/biography/Marcus-Livius-Drusus-Roman-tribune-died-91-BC

المعركة بينما كسبت إيطاليا السلام وشملت حقوق المواطنة الرومانية كل أنحاء شبه الجزيرة بعد أن دفع الرومان ثمنًا باهظًا([٢٢٤]).

خطر مثراداتيس السادس:

وفي أثناء اشتغال الحرب الأهلية مع الحلفاء كان يحيط بالدولة الرومانية خطراً خارجياً كبيراً وهو حضر "مثراداتيس السادس" mithridates VI ملك "بونطوس" Pontus حيث قام مثراداتيس في عام ٨٨ ق.م. بمهاجمة آسيا بجيش جرار واكتساح قوات الحاكم الروماني الضعيف وسيطر حينئذ علي الولاية، وكانت خطواته التالية هي تدبير مذبحة تعد من أكبر مذابح التي حدثت في العصور القديمة وأدقها تنفيذاً في يوم واحد، حيث قتل جميع الرومان والإيطاليين من الرجال والنساء والأطفال والعبيد المقيمين في كل أنحاء آسيا مستخدماً في ذلك جميع ألوان الوحشية وتراوح عدد القتلى بين ٨٠.٠٠٠ و١٥٠.٠٠٠ شخص، وتم مصادرة أملاكهم لصالح الخزانة الملكية وقتل معهم أيضاً كثيراً من الأثرياء الآسيويين، وهكذا خسرت روما آسيا وأصبحت خزائن روما خاوية تقريباً بعد أن حرمت من الضرائب التي كانت تحصل عليها من آسيا، وبذلك أصبحت هناك ضرورة للقضاء علي خطر مثراداتيس.

الصراع بين الديموقراطيين والأرستقراطيين علي قيادة الحرب علي مثراداتيس

حيث وقع اختيار مجلس الشيوخ علي "لوكيوس كورنيليوس سوللا" Lucius Cornelius sulla أحد قنصلي عام ٨٨ق.م. وكان سوللا في ذلك الوقت مع جيشه في كمبانيا Capania وقد برز سوللا في أثناء خدمته في الجيش تحت قيادة ماريوس Marius أثناء حرب يوجورتا والكمبري وكان أكثر القادة الرومان توفيقاً في حرب الحلفاء، ولكن بالطبع كان ماريوس يطمع أن يتولى هو بنفسه القيادة في الشرق علي الرغم من أنه كان في ذلك الوقت غير لائق من الناحية الجسمانية، وكان مدمناً للخمور وأقرب إلي الجنون ومسنًا حيث كان في سن السبعين تقريباً، فأصدر "سولبيكيوس" تربيون العامة قراراً عن طريق الجمعية يقضي بإسناد القيادة ضد "مثراداتيس" إلى ماريوس بدلاً من سوللا، مما أغضب السناتو وسوللا لذلك فر سوللا من روما وذهب إلى كمبانيا، وقاد قواته ضد روما وأستولى علي المدينة ودخلها عنوة، وطارد الديموقراطيين وإعدم "سولبيكيوس" ونفي "ماريوس"، وبعدئذ أبحر إلى اليونان لمحاربة مثراداتيس علي رأس جيش يتكون من ٣٠.٠٠٠ جندي.

([٢٢٤]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ٢٥٦-٢٨٢.: سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٢٥٧-٢٦٣.

بعد موت سولبيكيوس وفرار ماريوس إلي شمال أفريقيا تجدد الصراع بين سوللا والديموقراطيين بقيادة "كنا" أحد قناصل عام ٧٨ ق.م، ووقع في ذلك الوقت اشتباك بين الأرستقراطيين بقيادة القنصل "أوكتافيوس" زميل "كنا" وانتهى هذا الاشتباك بفرار كنا وزملائه "جاربو" و"سرتوريوس" من روما، وفي هذا الوقت أتصل ماريوس بكنا وأعرب له عن إستعداده لإطاعة أوامره بصفته قنصلاً في مقابل أن يعتبر ماريوس بروقنصل، وأستطاعوا معًا دخول روما، وعندما دخل "ماريوس" روما شرع في الإنتقام من الأرستقراطيين لذلك بادروا بالفرار إلي معسكر "سوللا" في بلاد الإغريق، وتولى "ماريوس" القنصلية للمرة السابعة في عام ٨٦ ولكنه مات قبل أن يستمتع بها([٢٢٥]).

استطاع "سوللا" في سنة ٨٤ق.م إنهاء الحرب ضد مثراداتيس بعقد معاهدة "دارادنوس" Dardanus عند الهللسبونت، وهذه المعاهدة كانت معاهدة عقابية لمثراداتيس، حيث نصت على أن يتنازل "مثراداتيس" عن جميع فتوحاته وأن يدفع تعويضاً لروما مع الاحتفاظ لنفسه بمملكة "بونطوس"، وإنسحابه من بلاد الإغريق وآسيا، وأصبح "مثراداتيس" بمقتضى هذه المعاهدة تابعًا للرومان، وأستطاع سوللا أن يتفاوض مع مدن آسيا في المؤتمر العام الذي عقده في إفيسوس Ephesus للوصول إلي تسوية للموقف، وفي صيف ٨٣ق.م عاد سوللا إلى روما بعد إنقضاء فترة إقامته في أثينا([٢٢٦]).

مرحلة التحالف العسكرية:

في المراحل السابقة كان يقوم بالمعارضة ضد النساتو الديمقراطيين ترابنة العامة بدايةً من تيبريوس وجايوس جراكوس ومروراً بمرحلة الحروب الأهلية فأما الآن كان يقوم بالثورة ضد السناتو القادة العسكريين الطموحين الذين تحدوا السناتو لتحقيق رغباتهم وطموحاتهم، فظهر في هذه الفترة مجموعة من القادة العسكريين العظام الذين كان لطموحاتهم أثر كبير في الحياة السياسية لروما، وفي هذه المرحلة لم يستطيع السناتو ولا أي من الأحزاب ولا الجمعية القبلية أن تتصدى لهؤلاء القادة وتميزت هذه المرحلة بأن الجيش الروماني أصبح العامل الرئيس في إدارة شئون الدولة الداخلية والخارجية، وظهر الصراع بين القادة العسكريين على القيادة الحربية ضد

([٢٢٥]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ٣١٧-٣١٨.

([٢٢٦]) https://www.britannica.com/biography/Sulla

إعداء الدولة فكما سنرى لاحقًا مدى التنافس بين كراسوس وبومبي على قيادة الحرب ضد العبيد بقيادة " سبارتاكوس"([٢٢٧]).

موقف المجتمع من تشريعات سوللا:

كان هناك في روما شعور عام بالغضب من دستور "سوللا"، حيث الكثير من الأفراد فقدوا ثرواتهم وحقوقهم السياسية، وفي هذا الوقت أخذ الشعبيين من أنصار ماريوس يطالبون بتحرير تربونية العامة من القيود التى فرضها عليها سوللا، وكان الفرسان يتطلعون إلى استعادة سيطرتهم على المحاكم بانتزاعها من قبضة أعضاء السناتو – وظهرت أولي مظاهر التذمر من دستور سوللا عندما قام ماركوس أيمليوس ليبيدوس بمهاجمة دستور سوللا في دعايته الانتخابية لمنصب القنصلية لعام ٧٨ق .م، وكسباً لود العناصر المتذمره تقدم ليبيدوس بمجموعة من مشروعات القوانين لرد الأراضي المصادرة إلى أصحابها الإيطاليين، واستدعاد المنفيين من الخارج وتقدم بمشروع لإحياء قانون القمح الذى ألغاه سوللا. وانتهي أمر ليبيدوس بقضاء بومبي عليه بأمر من السناتو([٢٢٨]).

وفي ذلك الوقت كانت الدولة تعاني من ضغوط خارجية، ففي الشرق انتهز مثراداتيس "Mithridates " الفرصة ليجدد كفاحة ضد الدولة الرومانية، وفي الغرب ممكن سرتوريوس Sortorius أحد أتباع ماريوس Marius وحاكم إقليمي قدير تمكن من السيطرة على أسبانيا وحكمها لعدة سنين كولاية مستقلة، أما في أيطاليا نفسها فقد أظهرت ثورة العبيد الرهبية التي قامت تحت إمرة "سبارتاكوس" ضعف الحكومة المركزية بوضوح، وفي البحار البعيدة كان إنتشار القراصنة الذى ينذر بالخطر ويهدد بشل الحركة التجارية في البحر المتوسط، وكان هذا الموقف يحتاج إلى رجال يتولون قيادات خارقة للعادة([٢٢٩]).

خطر القراصنة:

بدأ خطر القراصنة يلوح في الأفق للرومان منذ نهايات القرن الثاني قبل الميلاد، وأول الجهود للقضاء عليهم كانت في ١٠٢ق.م، وقد تسببت الحرب ضد مثراداتيس في تعطيل القضاء على القراصنة. وفي سنة ٧٨ق.م أسندت مهمة القضاء على القراصنة إلى "بوبليوس سرفيليوس فاتيا"، الذي تمكن سنة ٧٧ ق.م من القضاء على أوكار القراصنة على شواطيء لوكيا، وبامفيليا، وإساوريا، وكيليكيا، وجبال الطوروس، لكنها كانت انتصارات مؤقته، حيث فر القراصنة

([٢٢٧]) عبد اللطيف أحمد علي، عصر الثورة الاجتماعية، ص ١٠١-١٠٢.

([٢٢٨]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٢٩٧-٣٠٠.

([٢٢٩]) المرجع نفسه، ٣٠١-٣٢٠.

إلى كريت والجزر المجاورة لها. وفي سنة ٧٥ق.م عاد سرفيليوس لروما للإحتفال بنصره، وفي غضون ذلك عاد القراصنه مرة أخرى إلى أوكارهم السابقة. ونظرًا لتهديد القراصنة لوصول إمدادات القمح إلى روما، وبالتالى إرتفاع سعره، وإحتمالية وقوع روما في مجاعة، أسند السناتو مهمة القضاء على القراصنة إلى بومبي سنة ٦٧ق.م. الذي تمكن من القضاء عليهم خلال ثلاث شهور، وذلك من خلال تقسيمه للبحر المتوسط ولأسود إلى ثلاث عشرة منطقة ووضع على كلاً منها أحد قادته الذين قاموا بمهاجمة أوكار القراصنة في منطقتهم. وأستطاع بومبي أن ينزل بأسطول القراصنة هزيمة منكره في معركة فاصلة بالقرب من قلعة "كوراكسيوم" في كيليكيا. ويرجع انتصار بومبي على القراصنة إلى حسن إدارته للحرب ومعاملته الحسنة لأسرى الحرب مما جعل الكثيرين يستسلمون ويرشدون عن مخابيء القراصنة الأخرين، وقام بومبي بتوطينهم في المدن المقفرة من السكان مثل مدن كيليكيا المنبسطة، كما إنه قام بإنشاء عدداً من المستعمرات لهم([٢٣٠]).

تمرد سرتوريوس: ٨٢- ٧٢ق.م

ولد في "نورسيا" عام ١٢٣ق.م، سابيني الأصل، أحد رجال ماريوس، أسند إليه حكم أسبانيا الدانية، قام بكسب ولاء الأسبان والرومان المقيمين في أسبانيا، وكون جيش وأسطول، قام الدكتاتور سوللا سنة ٨١ق.م بتجريده من حقوقه المدنية، أضطر إلى مغادرة أسبانيا تحت ضغط من قوات البرايتور أنيوس لوسكوس، لكنه عاد إليها مرة أخرى سنة ٨٠ق.م بمساعدة اللوستاني لقيادتهم في تمرد ضد الرومان. أستطاع الانتصار على لوكيوس فوفيديوس حاكم أسبانيا القاصية، وبعث سوللا سنة ٨٠ ق.م زميله في القنصلية كوينتوس متلوس بيوس للقضاء على سرتوريوس، إلا إنه فشل في وقف توسع سرتوريوس. ووصل بومبي سنة ٧٦ق.م لمحاربة سرتوريوس، وفي البداية لم يستطيع بومبي إحراز تفوق على سرتوريوس، وفي هذا الوقت استطاع سرتوريوس عقد تحالف مع مثراداتيس ملك بونطوس، وخلال عامي ٧٤ و٧٣ق.م كانت كفة الحرب تتأرجح بين بومبي وسرتوريوس، وحدث تحول خطير لصالح بومبي، حيث بدأ الاسبان يهجرون سرتوريوس وينحازون إلى جانب بومبي، لإن مساعدي سرتوريوس أساءوا معاملة الأسبان، مما دفعه إلى الإنتقام من الأسبان بالقتل، وبدأ يفقد أعصابه وتركيزه، وينغمس في نزواته البهيمية، وقام مساعده "بربرنا" سنة ٧٢ق.م بقتله، وتولى القياده من بعده. واستطاع بومبي هزيمته وأسره وإعدامه، وتمكن بومبي في إنهاء الحرب في إسبانيا سنة ٧٢ق.م، بعد القضاء على أخر المعاقل الموالية لسرتوريوس، وبتوصية من بومبي أصدر السناتو قانون "جيليا كورنيليا"

([٢٣٠]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ٤٣٣-٤٣٨.

بمنح المواطنة الرومانية للأسبان الذين قدموا خدمات جليلة للرومان، أما الأسبان الذين قاوموه قام بترحيلهم إلى جنوب الغال([٢٣١])..

الجولة الأخيرة من الحرب ضد مثراداتيس ٧٤-٦٣ق.م

أما بومبي أستطاع أن يحقق أولي انتصاراته بالقضاء على سرتوريوس في عام ٧٢ق.م أما الحرب ضد مثراداتيس في عام ٧٤ق.م فقد عهد مجلس الشيوخ إلى القائد لوكوللوس Lucullus قنصل عام ٧٤ق.م لقيادة الحرب ضد مثراداتيس، وكان لـ لوكوللوس أعداء أكثر خطورة عليه من عزيمة الذى كان يواجهة في ميدان القتال، حيث حقد عليه بومبي وتآمر رجال الأعمال والفرسان Equites ضده لحده من أوجة ظلمهم وفسادهم في ولاية آسيا الصغرى، ولذلك أجبر لوكوللوس في النهاية على تسليم القيادة إلى جالابريو عام ٦٧ق.م والعودة إلى روما([٢٣٢]).

ثورة العبيد بقيادة سبارتاكوس من ٧٣-٧١ق.م

يرجع سبب ثورة العبثيد إلى سوء الأحوال المعيشية للعبيد وسوء معاملة أسيادهم الرومان لهم في المزارع، قادهم أحد العبيد من تراقيا يدعى "سبارتاكوس"، تجمع العبيد في كابوا بالقرب من بركان فيزوفيوس، كان عددهم في البداية سبعين عبداً ثائرًا ووصل العدد في النهاية إلى سبعين ألف عبد. أنضم إليهم الكثير من الأسرى من الغاليين والكلتيين والجرمانيين، حصلوا على بعض الأسلحة من القراصنة والبعض الأخر قاموا بسرقته من الجنود الرومان، أستطاعوا الانتصار على العديد من الجيوش الرومانية، ولذلك قام السناتو بتعيين "كراسوس" للقضاء على هذه الثورة وفي هذا الوقت كان بومبي في اسبانيا([٢٣٣]).

يمكننا القول بان الحرب مع "سبارتاكوس" Spartacus (٧٣-٧١ ق .م) لم تكن ثورة عبيد عادية، حيث قامت بها مجموعة من العبيد المحاربين المحترفين، ولذلك عهد بالقيادة ضد هذه الثورة إلى "كراسوس" الذى استدرجهم إلى خليج في (لوكانيا) Lucania وسحقهم ثم قضي "بومبي" على البقية الباقية من هؤلاء الثوار وهو في طريق عودته من أسبانيا، وكما هو معروف عن شخصية بومبي فقد أدعي أن له الفضل الأول في كل الانتصارات وعندما قابل " لوكوللوس" بومبي ليسلم له قيادته لاقى تعليقاً لاذعاً جاء فيه " أن بومبي مثل الطائر الكاسر الذى يجد

([٢٣١]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ٤٢٥-٤٣٢.

([٢٣٢]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٣١٣-٣١٦.

([٢٣٣]) سيد احمد على الناصري، المرجع السابق، ص٣٠٤-٣٠٥.

طعامه في جثث من قتلوا بأيدي الآخرين" وقبل ذلك بسنوات تساءل "كراسوس" وهو يشير إلى منح "بومبي " لقب العظيم " Magnus قبل أوانه قائلاً "عظيم بأي حق"(٤) .

ومن أهم النتائج التي تمخضت عنها ثورة العبيد بقيادة كراسوس، أن الأوضاع السيئة للعبيد والطبقات الكادحة وطبقة العامة قد لفتت إنتباه الساسة الرومان، ولذلك بدأت المطالبة بتحسين أوضاعهم المعيشية، والحث على ضرورة معاملتهم معاملة إنسانية، وعلى الصعيد السياسي فإن نتيجة هذه الثورة إندلع الصراع بين "بومبي" و"كراسوس"، فكل قائد منهما كان يطالب السناتو بالترشح لقنصلية ٧٠ق.م، ودخول روما في موكب نصر والمرور تحت قوس النصر Triumphus، والمناداة به من قبل الجماهير قائداً مظفراً Imperator([٢٣٤]).

تحدي بومبي وكراسوس لمجلس السناتو:

توصل بومبي وكراسوس إلى إتفاق لمواجهة السناتو، والقدرة على ترشيح نفسيهما لقنصلية عام ٧٠ ق.م بالرغم من أن تقدمهم لشغل القنصلية كان غير شرعيًا فمن جانب "كراسوس" لم ينقضي الوقت القانوني بين توليه للبراتيورية Praetorship وبين أحقيته لتولى وظيفة عليا ومن جانب "بومبي" لإنه لم يكن قد تولى أي من الوظائف التي تؤهله لتولى القنصلية، فضلاً عن ذلك فإن بومبي كان لا يجوز له الترشح للقنصلية لإنه في السادسة والثلاثين بينما حسب قوانين سوللا لا يجوز الترشح للقنصلية قبل الثالثة والأربعين، كما أن بومبي لم يتولى أي من الوظائف الممهدة للقنصلية، حيث كل سلطاته السابقة كانت سلطات أستثنائية عسكرية لمهام محددة([٢٣٥]).

وكان ليوليوس قيصر دوراً هامًا في هذا التفاهم الذى نشأ بين بومبي وكراسوس فكما جاء عند ركس ورانر " وسرعان ما تم التفاهم بين بومبي وكراسوس، وأضطر أولهما لإعتناق مبادئ حزب الشعب وقد صرح علانية بأنه فيما لو تم انتخابه قنصلاً، فأول عمل يؤدية هو أن يعيد إلى نقباء العامة جميع السلطات التي إنتزعها منهم سوللا، وكان لضغط الرأي العام ووجود جيش على أبواب روما أثرهما على مجلس الشيوخ، فصدرت قرارات رسمية بإعطاء بومبي حق ترشيح نفسه للقنصلية دون حاجة لإستكمال المؤهلات التي يستلزم العرف توفرها في المرشح للقنصلية، وتم إنتخاب بومبي وكراسوس للقنصلية في الوقت المحدد".

([٢٣٤]) سيد أحمد على الناصري، المرجع السابق، ص ٣٠٨.

([٢٣٥]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٣٠٩.

ولكي يضغط بومبي على مجلس السناتو ويسمح له بالترشح لقنصلية ٧٠ق.م، قام بومبي بالإنحياز إلى صف العامة أو الحزب الشعبي، وذلك لتهديد السناتو، فقام بومبي بوعد العامة بعودة المهابة والكرامة لمنصب نقيب العامة، وتزعم العامة للمطالبة بحقوقهم([٢٣٦]).

وفي هذا الوقت (٦٧-٦١ ق .م) وجدت روما نفسها في مواجهة ثلاثة أخطار خارجية فهناك خطر في بحر إيجة وهو خطر القراصنة الذين كانوا يقومون بأعمال السلب والنهب وتسببوا في إعاقة الحركة التجارية للدولة، أما الخطر الثاني فكان متمثلاً في غارات التراقيون البرابرة، والخطر الثالث جاء من آسيا حيث التهديد من جانب مثراداتيس وحماه ملك أرمينيا، وتركت مهمة القضاء على غارات التراقيون إلى حاكم مقدونيا بينما تولى بومبي محاربة القراصنة، وما أن حل عام ٦٢ق.م حتى كان بومبي قد أنهي مهمته في آسيا وكيليكيا، وأثناء غياب بومبي في الشرق تقدم أحد ترابنة العامة بإيعاز من قيصر وكراسوس بمشروع قانون ضم مملكة البطالمة في مصر إلى الدولة الرومانية، وقد قام شيشرون بالتصدي لهذا المشروع وفي عام ٦٣ ق.م استطاع شيشرون أن يتولي القنصلية والقضاء على مؤامرة (كاتيلينا) Catalina الشهيرة.

تدخل روما في شؤون مصر

وتدخلت روما خلال هذه الفترة في المشاكل الداخلية لمصر، أو بمعنى أدق المنازعات التي نشبت بين أسرة البطالمة حول وراثة العرش، بعد وفاة "بطلميوس الخامس" شب النزاع بين أبنائه "بطلميوس السادس" "فيلوماتور" وشقيقة الأصغر "بطلميوس الثامن" "يورجتيس الثاني"، بعد أن كانوا شركاء في الحكم معًا، أنفرد الشقيق الأصغر بالحكم، مما دفع الأخ الأكبر للجوء إلى روما طلباً لمساعدتها في عودته إلى الحكم، وقد حكمت روما بأن يحكم فيلوماتور قبرص، ويحكم الأخ الأصغر مصر وقورينائية، إلا أن ثورة شعبية قامت ضد الأخ الأصغر، أدت إلى طرده من الحكم وتم إستدعاء فيلوماتور لحكم مصر وقبرص، بينما ترك للأخ الأصغر حكم قورينائية (برقة). وقد أوصى الأخ الأصغر بأن تؤول مملكته- برقة- إلى حكم الرومان إذا مات دون وريث، حتى لا تؤول إلى أخية الأكبر، إلا أن القدر يشاء أن يموت الأخ الأكبر ويتولي الأخ الأصغر حكم مصر، وبذلك لم تنفذ وصية بطلميوس الثامن، وعهد بحكم برقة إلى أبنه غير الشرعي "بطلميوس أبيون"، الذي أوصى بأن تؤل برقة إلى حكم الرومان بعد وفاته، وفي سنة ٧٤ق.م، تم تحويل برقة إلى ولاية رومانية.

([٢٣٦]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٣٠٩.

وكُلف "سكيبيو إيميليانوس" بمهمة من قبل السناتو للوقوف على أحوال الممالك الهلنستية، وعاد إلى روما بتقرير عن خيرات ومدى ثراء مصر وعن أوضاعها الداخلية، وكان لذلك التقرير أثر كبير في رسم سياسة السناتو تجاه مصر.

وعند وفاة بطلميوس التاسع ٨١ق.م، لم يترك وريثاً للعرش، إلا إبنته "برنيكي" التي نصبها السكندريين ملكةً على البلاد، لكن سوللا فرض على مصر في هذا الوقت ابن "بطلميوس العاشر" –"الإسكندر الأول"– الذي كان يعيش في روما، وبعث به إلى مصر ليتزوج من "برنيكي" ويتولى الحكم تحت أسم "بطلميوس الحادي عشر" أو "الاسكندر الثاني"، إلا أن هذا الشخص قتل برنيكي، مما أغضب السكندريين وثاروا ضده، وقتلوه بعد أيام قليلة من توليه الحكم.

وقد زعم الرومان أن "بطلميوس الحادي عشر" قد ترك وصية بأن تؤول مصر إلى أملاك الشعب الروماني، وبالتالي لم يعترفوا ببطلميوس الزمار ملكاً على مصر، وإزاء ذلك حاول الزمار كسب أأتراف الرومان به ملكاً على البلاد عن طريق الرشوة والهدايا التي كان يقدمها لأعضاء السناتو، ولكن البعض يشكك في هذه الوصية ويرى إنها غير حقيقية([٢٣٧]).

وكان للوصية المزعزمة سابقة الذكر تبعات على مستقبل مصر ومصيرها، فقد دفعت هذه الوصية الرقيب كراسوس بتقديم مشروع فرض جزية سنوية على مصر، لإن الزمار خالف وصية بطلميوس الحادي عشر، التي كانت تقضي بان تؤول مصر لأملاك الشعب الروماني. ولحسن حظ الزمار أن هذا المشروع أجهض على يد "شيشرون" صديق "بومبي"، الذي كان يرى نجاح مشروع كراسوس سنة ٦٥ق.م وتمريره سوف يكون هزيمة لصديقة بومبي وانتصاراً للحزب الديمقراطي. وفي السنة التالية طلب كراسوس من أحد نقباء العامة بتقديم مشروع لضم مصر إلى أملاك الشعب الروماني وإسناد هذه المهمة ليوليوس قيصر، وذلك لإتخاذ مصر كقاعدة عسكرية ضد بومبي([٢٣٨])، وتحجج كراسوس بأن هناك وصية تركها بطلميوس الحادي عشر بان تؤول مصر إلى أملاك الشعب الروماني، وكان العامة والفرسان يرحبون بضم مصر لإنها سوف تهيء لهم مجالاً أكبر لجني الأموال وتضمن

([٢٣٧]) حسن أحمد، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ص ٥٩.

([٢٣٨]) حسن أحمد، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ص ٦٠–٦١.

للعامة الحصول على القمح، أما النبلاء فكانوا يعارضون ذلك لإن ضمها سيحرمهم من أقراض الأموال للزمار وأخذ فوائد باهظة فضلاً عن أن ذلك سيوقف الرشاوى التي يدفعها الزمار لهم. ولكن نظراً لشك النبلاء والفرسان في نوايا كراسوس وقيصر وخوفهم من إستقلالهما بمصر، فإنهم أنحازوا إلى جانب بومبي المدافع عن الفرسان، وقد أستطاع شيشرون صديق بومبي والمنتمي للفرسان مرة أخرى إجهاض هذا المشروع([٢٣٩]).

والرواية الأخرى تحكي أن هناك ثورة قامت ضد الزمار في الإسكندرية، وخلعته من العرش، ومن ثم طلب من الرومان إعادته إلى عرشه، وقد تضاربت أراء الأحزاب في روما ازاء هذه المسالة، مما دفع السناتو إلى أرجاء هذه المسالة، إلا أن "جابينوس" القائد الروماني على سوريا أعاد الزمار إلى عرشة سنة ٥٥ق.م مقابل رشوة دفعها إليه الزمار([٢٤٠]).

مؤامرة كاتيلينا ٦٣ق.م:

كان "كاتيلينا" يصر على ترشيح نفسة لقنصلية ٦٢ق.م للمرة الثانية، وذلك للخلاص من ديونه التي قد يستطيع تسديدها بارتقائه القنصلية مرة ثانية. وجمع حوله الساخطين من ضحايا الديون والربا وجنود سوللا والقتلة والمجرمين والمغامرين، لذا فقد دعم الأغنياء كراسوس لخوض الانتخابات، ولجأ كاتيلينا للعنف والمؤامرة، والتخطيط للإنقضاض على حكومة شيشرون. وأستطاع شيشرون كشف خيوط المؤامرة وإقناع السناتو بأن كاتيلينا يعد جيشًا جرارًا في أتروريا للزحف على روما، حيث أخبرت إحدي زوجات المتآمرين شيشرون بالاجتماع السري الذي عقد لتحديد ساعة الصفر للمؤامرة، وعقد شيشرون اجتماعًا طارئًا للسناتو، وألقى خطبة ضد كاتيلينا في وجوده، الذي إنسحب من الاجتماع وهرب إلى أتروريا، وعند ذلك أعلن السناتو أن كاتيلينا عدوًا للشعب الروماني ويجب قتله. ورأي شيشرون وكاتو ضرورة إعدامهم، لكن يوليوس قيصر رأي الاكتفاء بسجنهم المؤبد ومصادرة أموالهم، وفي

([٢٣٩]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ص ٤٦٥-٤٦٦.

([٢٤٠]) حسن أحمد، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ص ٦٤.

النهاية نجح المتشددون وتم إعدام المتآمرين، ومنح السناتو لقب أبو الوطن Pater Patriae لشيشرون([٢٤١]).

الائتلاف الثلاثي الأول:

بعد عودة بومبي من الشرق والانتصارات العظيمة التي حققها في هذه المنطقة، رفض مجلس السناتو مطالب بومبي، كما أن السناتو رفض بعض مطالب كراسوس، وعند عودة قيصر من أسبانيا رفض ترشحه للقنصلية. لذلك أجتمع القادة الثلاثة في إئتلاف ثلاثي Triumviri ضد السناتو، بفضله أستطاع قيصر تولى القنصلية سنة ٥٩ق.م، وتوطدت العلاقات بينهم وتحولت من العداء إلى الود، وتوطيدًا للعلاقة بين قيصر وبومبي، تزوج بومبي من يوليا بنت قيصر. وقاموا بالإنتقام من خصومهم، خاصةً "كاتو" وشيشرون، حيث تم نفي شيشرون خارج الدولة، وتم إرسال كاتو إلى قبرص لإبعاده عن روما([٢٤٢]).

حاول السناتو بشتى الطرق أن يحطم الإئتلاف الثلاثي من خلال إغراء بومبي بإعطائه المزيد من السلطات خاصةً بعد أن نجح بومبي في إعادة شيشرون من المنفى، فقد منح السناتو سلطة الإمبريوم لبومبي، لكن كراسوس أدرك خطورة ما يقوم به السناتو ودعى بومبي وقيصر إلى مؤتمر "لوكا" لتصفية الخلافات بين بومبي وقيصر، وعرض بومبي وقيصر إغراءات كبيرة على بومبي تفوق ما قدمه السناتو لبومبي، وكان بومبي مستعدًا لتصفية خلافاته مع قيصر لحبه لإبنته "يوليا" التي كان بومبي يحبها حبًا شديدًا([٢٤٣]).

يوليوس قيصر وكليوباترا السابعة:

وعندما نشب صراع بين "كليوباترا السابعة" وأخيها "بطلميوس الثالث عشر" على العرش، تدخل قيصر للتوفيق بينهم، ونظراً لتحيز قيصر لجانب كليوباترا نشبت "حرب الاسكندرية" ضده، وأنتهت بهزيمة بطلميوس الثالث عشر وموته غرقاً، وتنصيب كليوباترا ملكة على عرش مصر بالإشتراك مع أخيها بطلميوس الرابع عشر. وقضى قيصر الشتاء مع كليوباترا

([٢٤١]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ص ٣٣٢-٣٣٥.

([٢٤٢]) محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص ١١٢.

([٢٤٣]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٣٤٨.

نزهة نيلية، وعند عودته لروما وضعت طفلاً، وذهبت كليوباترا إلى روما، وأعترف قيصر بأبنه من كليوباترا، وفي ذلك الوقت كثرة الإشاعات حول قيصر وكليوباترا وبإنه يريد تحويل الجمهورية إلى ملكية من أجل كليوباترا. وبعد إغتيال قيصر على يد الحزب الجمهوري، عادت كليوباترا إلى مصر، وتخلصت من أخيها بطلميوس الرابع عشر، وأشركت أبنها قيصرون في الحكم تحت أسم "بطلميوس الخامس عشر"([٢٤٤]).

أغتيال يوليوس قيصر قيصر:

بعد قضاء يوليوس قيصر على كراسوس وبومبي أنفرد بالحكم، وقام بتحويل مؤسسات الجمهورية إلى مؤسسات خاضعة لسيطرته الديكتاتورية، وأخذ يعمل بالقضاء على سلطات مجلس الشيوخ والأرستقراطية وتدعيم الطبقة الشعبية التي أستند إليها. وقام بتعطيل عملية إنتخاب القناصل، حتي يصبح الحاكم الفردي المنفرد بالقنصلية. وفي سنة ٤٧ق.م أنتخب دكتاتورا وقنصلًا لعدة سنوات. وفي سنة ٤٤ق.م أصدر السناتو قرارًا بمنح قيصر حق إنتخاب القنصلين ونصف شاغلى المناصب الكبرى، مما أدى إلى القضاء على نظام الحكم الجمهوري وتأسيس حكم دكتاتوري. وأتخذ لنفسه لقب إمبراطور بمعنى القائد الأعلى المنتصر. هذه التصرفات الدكتاتورية الإستبدادية أثارت غضب الأرستقراطية الرومانية وبعض أنصار قيصر. فتم تدبير مؤامرة لإغتيالة بقيادة جايوس كاسيوس، وماركوس بروتوس، ودكيموس، وجايوس تريبونيوس وحوالى ٦٠ من أعضاء السناتو، قاموا بإغتيالة أثناء دخولة إلى قاعة مجلس السناتو([٢٤٥]).

الإئتلاف الثلاثي الثاني:

عندما فنتحت وصية قيصر بعد إغتيالة، وجدوا فيها أنه أوصى بأن تكون حدائقه متنزهاً للشعب الروماني، وأوصى ب ٣٠٠ سستريوس لكل مواطن روماني، وتبنى أبن إبنة أخته "جوليا" وجعله وريثًا لثلاث أرباع ممتلكاته. وبإعتبار أنطونيوس زعيم حزب قيصر، قام بالسيطرة على السلطة ووزع الولايات على أتباعه، وتجاهل جايوس أوكتافيوس الذي تحالف

([٢٤٤]) حسن أحمد، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ص ٦٧-٧٠.

([٢٤٥]) على عكاشة وأخرون، اليونان والرومان، ص ١٩٨-٢٠٠.

مع السناتو ضد أنطونيوس وأنتصر عليه في موقعة "موتين"ا ٤٣ق.م، ولكن مجلس السناتو أيضًا تجاهل أوكتافيوس، مما دفعه إلى الزحف على روما وأنتخابه قنصلًا في أغسطس ٤٣ق.م، وأنشأ محكمة لمحاكمة قتلة قيصر. بينما قام أنطونيوس بالتحالف مع صديقة ليبيدوس ضد أوكتافيوس. وزحفوا على روما لمقابلة أوكتافيوس، الذي اتفق معهم على تكوين إدارة ثلاثية مدتها خمس سنوات، يتمتع كل منهم بالسلطة القنصلية وتعيين الموظفين دون الرجوع للسناتو، وتقاسم إدارة الولايات بينهم. وقاموا بالحرب ضد الحزب الجمهوري وأستطاعوا هزيمة الجيش الجمهوري في معركة فيليبي سنة ٤٣ق.م([٢٤٦]).

وبعد إنتقامهم من قتلة قيصر أقتسم أوكتافيوس وأنطونيوس الولايات بينهم، تولى أوكتافيوس إدارة الولايات الغربية، وأنطونيوس تولى إدارة الولايات الشرقية. وكانت مصر فى هذا الوقت المملكة الوحيدة في الشرق التي لم تسقط في يد الرومان.

وبعد إعتيال قيصر أخذت كليوباترا تبحث عن قائد روماني أخر تستند إليه في حماية مملكتها من الضياع، وقد وجدت ضالتها المنشودة في أنطونيوس، الذي أفتتن بها، وهام بها حبًأ وعشقًا، وأثمرت علاقتهما عن ميلاد توأم. في هذا الوقت كان الشقاق والخلاف يزداد يومًا بعد يوم بين أوكتافيوس وأنطونيوس، نظرًأ لطموح كلاً منهم في الإستئثار بالسلطة وتحقيق مجد شخصي لنفسه، إلى أن تم في سنة٤٠ق.م عقد صلح بين القائدين وتقريب لوجهات النظر بينهم، وتوطيدًا لهذا الوفاق والصلح تزوج أنطونيوس من "أوكتافيا" شقيقة أوكتافيوس.

وعندما أرتبط القائد الروماني "ماركوس انطونيوس"(*Marcus Antonius*) بعلاقة عاطفية بكليوباترا السابعة"(*Cleopatra VII*) ملكة مصر، فإنها كانت تخطط لحماية عرشها من الأطماع الرومانية، وتطمح إلى حكم الجزء الشرقي من الإمبراطورية الرومانية بمساعدة "أنطونيوس" على أقل تقدير، أو أنها كانت تطمح إلى حكم الإمبراطورية الرومانية بأسرها، ولذلك فإن الرومان كرهوها وغضبوا منها، وعبر "كاسيوس ديو" (*Cassius Dio*) عن ذلك قائلًا:

([٢٤٦]) على عكاشة وأخرون، اليونان والرومان، ص ٢٠٠-٢٠١.

"الأمل قد راودها في أن تحكم الرومان، وكان أقصى أمنية لديها، والتي أقسمت أن تحققها ذات يوم، هي أن تُصرَف العدالة فوق صخرة الكابيتول".

وعلى ذلك، فإن كليوباترا أثارت الفزع في قلوب الرومان وجعلت قلوبهم ترتجف من بين ضلوعهم، وذكرتهم بحروب "هانيبال" وخسائرها الفادحة، وقد أذكت الحرب الدعائية التي دارت بين "أوكتافيانوس" من ناحية وبين "انطونيوس" و"كليوباترا" من ناحية أخرى من هذا الشعور، حيث أخذت الدعاية الموالية لجانب "أوكتافيانوس" في بث سمومها في قلوب وأذهان الشعب الروماني إلى أن أصبحت "كليوباترا" العدو اللدود فـي مخيلة الشعب الرومانـي.

وفي هذا الوقت كان الوسط الثقافي هو بوق الدعاية الرئيس ضد "كليوباترا السابعة"، وتبارى الأدباء والخطباء الرومان في الدلو بدلوهم في هذه الدعاية، ومنها على سبيل المثال رسالة "شيشرون" (*Cicero*) إلى صديقه "أتيكوس"(*Atticus*)، التي صرح فيها بوضوح عن كراهيته العميقة "لكليوباترا"، ويبدو لنا من خلال هذه الرسالة أن "شيشرون" استغل كراهية الرومان لكليوباترا للتشهير بـها لعدم وفائها بوعدها له، بإهدائه مجموعة من الكتب القيمة من مكتبة الإسكندرية، وعن "كليوباترا" يقول "شيشرون:

"ولا أستطيع أن أتذكر صلف الملكة نفسها عندما كانت في الحدائق على الضفة الأخرى من التيبر – دون أن أشعر بألم شديد".

أما التشهير اللاذع لكليوباترا، فقد جاء على لسان الشاعر "بروبرتيوس"(*Propertius*)، الذي تناول سيرتها بكل سوء في إحدى قصائده قائلًا: "إنها سيدة مبتذلة بين خدمها فقد طالبت زوجها الفاسق بأسوار روما وإخضاع السناتو لسلطانها كثمن لزواجها منه. وفي موضع آخر يصف "بروبرتيوس" الملكة "كليوباترا" بأنها عاهرة فاجرة، قائلًا: "نعم! قد اجترأت الملكة العاهرة، ملكة كانوب الدنسة، والوصمة الوحيدة التي دمغتها، سلالة فيليب على أن تواجه إلهنا جوبيتر بأنوبيس.

إلا أن عددًا من الخطوات التي أقدم عليها أنطونيوس جعلت علاقته تسوء مرة أخرى مع انطونيوس، ففي ٣٧ق.م بعد ان فشلت حملة أنطونيوس ضد البارثيين في الشرق، أعلن أنطونيوس زواجه من كليوباترا. وثاني هذه الخطوات في سنة ٣٤ق.م بعد انتصار حملة

أنطونيوس على أرمينيا، أحتفل أنطونيوس بانتصارة العسكري في الاسكندرية وليس روما، وأعلن كليوباترا في هذا الاحتفال ملكةً على مصر وقبرص وليبيا وجوف سوريا بمشاركة قيصرون، وأبنائه منها اعلنهم ملوك أبناء ملوك، وقسم الولايات الشرقية بينهم.

وثالث هذه الخطوات طلاقه من أوكتافيا، مما دفع أوكتافيوس إلى شن حملة دعائية شعواء ضد انطونيوس وكليوباترا، ووقد آتت هذه الحملة اكلها وتم اعلان الحرب ضد كليوباترا، واصرت كليوباترا على التواجد في ميدان المعركة، مما كان له اثر سلبي ادي في النهاية الى هزيمتها وانطونيوس في أكتيوم ٣١ق.م، ويبدو أن أنطونيوس كان يأمل في الاستعداد لمعركة برية فاصلة مع أوكتافيوس، إلا أن أوكتافيوس وصل مصر قبل أنطونيوس، ودخلها من الناحية الشرقية واستولى على بيلوزيوم ثم الإسكندرية، ونظرًا لفشل أنطونيوس في مواجهته، انتحر، ثم انتحرت من بعده كليوباترا ٣٠ق.م، لإنها كانت تخشى ما تخشاه أن تأخذ أسيرة إلى روما، وتهان في موكب انتصار عسكري في شوارع روما.

وعلى الرغم من هزيمة "كليوباترا" و"انطونيوس" في مواجهة أوكتافيانوس" في معركة أكتيوم البحرية في ربيع سنة ٣١ ق.م، فإنها يكفيها فخرًا قدرتها على إثارة الحقد والرعب في قلوب الرومان، حتى أصبحت رمزًا للكفاح ضد روما وطغيانها على الشرق الهللينستي، الذي كان يتمنى الخلاص من نير عبوديتها.

المبحث الثاني عشر: تأسيس أوكتافيوس للنظام الإمبراطوري:

بعد انتصار أوكتافيوس على أنطونيوس وكليوباترا حصل أوكتافيوس على صلاحيات تربونية غير محدودة سنة ٣٠ق.م، وعاد إلى روما سنة ٢٩ق.م، ولقب بالامبراطور ومنح لقب أغسطس من قبل السناتو، وأعتبره الرومان مؤسس العصر الذهبي لروما وقاموا بتقديسة كإله. وقام بعدة إجراءات منها إعادة الطمأنينة إلى نفوس الناس، منح العطايا والهبات على الشعب، وتعبيد الطرق، وتشييد المباني، وإغلاق معبد إله الحرب "جانوس"، منح الأمان

لأنصار أنطونيوس، تسريح وتوطين جزء كبير من الجيش الروماني، توطيد حكمه. أظهر حرصة على التمسك بالتقاليد الرومانية، وأخذ لقب عراف([٢٤٧]).

و أصدر عفو عام عن كل الأحداث التي حدثت قبل سنة ٢٨ق.م. وفي سنة ٢٧ق.م منحه السناتو لقب أغسطس بمعنى الجليل أو المقدس، وحق زراعة شجرة غار أمام منزله كرمز لانتصاراته، ووضع ترس ذهبي في السناتو مكتوب عليه صفات أغسطس الاربعة الرجولة العدالة البر الرحمة. وأعاد تنظيم عضوية مجلس السناتو، وقام باصدار القوانيين الايولية التي حددت أنواع الجرائم ومباديء الآداب العامة. بموجبه توجه تهمة الخيانة لكل من يعتدي على أغسطس بالقول أو الفعل. واصدر قانون الزواج سنة ١٨ق.م الذي شجع الشباب على الزواج للحد من ظاهرة العزوبة والحد من الطلاق ومعاقبة الزنا وتم تعديل هذا القانون سنة ٩ق.م. وأمر بأقامة إحتفالات شعبية ودينية. واعلن ميلاد عصر السلام الأغسطي، وأشرف بشخصه على سك النقود الذهبية، وأشرف على الخزينة العسكرية وعلى خزينة الولايات. وعمل على الحد من نفوذ طبقة الفرسان وامتيازاتها، وقام باصلاح نظام جباية الضرائب. وأهتم بأصلاح النظام الاقتصادي، مما أدى إلى إزدهار إقتصادي في جميع المجالات سواء الرزراعية أو الصناعية أو التجارية([٢٤٨]).

([٢٤٧]) على عكاشة وأخرون، اليونان والرومان، ص ٢٠٢-٢٠٣.

([٢٤٨]) المرجع نفسه، ص ٢٠٣-٢٠٤.